الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

جماليات الفضاء الروائي في رواية " الغريبة" لملكية أوفقير

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: **أدب عربي حديث ومعاصر**

إعداد الطالبتين:

- ✓ **أوغليسي نوارة**
- ✓ **إخلف سمراء**

إشراف الأستاذ:

د. موسى عالم.

السنة الجامعية: 2020/2019.

شكر و إهداء.

شكر وعرفان

أولا وقبل كل شيء نشكر الله عز وجل ساجدين حامدين له على حسن توفيقه، وعلى فضله ونعمته أن هدانا وأمدنا العزم والإرادة والصبر لإتمام هذا البحث.

ونتوجه بالشكر والتقدير إلى:

أوليائنا الذين جعلوا من تعليمنا قضية مقدسة لا يمكن التنازل عنها.

كما نتوجه بالشكر الخاص إلى:

الأستاذ الفاضل " موسى عالم" على قبوله الإشراف على هذا البحث، وتقديمه لنا النصح والتوجيه طوال إنجازنا لهذه المذكرة.

ونتوجه أيضا بالشكر إلى:

كل من ساعدنا، وساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث.

إهداء

أهدي هذا العمل:

إلى روح أمي الحبيبة.

إلى روح أبي الغالي.

إلى نبض قلبي وسندي في الحياة، زوجي وحبيبي "عادل".

إلى قرة عيني رمز البراءة ابني " أمير".

إلى كل إخوتي وعائلتي.

إلى زميلتي " سمرا" وصديقتي " صبرينة"

نوارة

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى أمي وأبي حفظهما الله.

إلى كل أفراد عائلتي.

وإلى نفسي وزميلتي في البحث " نوارة".

سمراء

مقدّمة.

مقدمة

تعدّ الرواية من الفنون النثرية التي فرضت حضورها في الساحة الأدبية النقدية، ومن الأشكال التي انتشرت انتشارًا واسعًا، هذا ما سمح لها بتقديم إنتاج إبداعي متنوع وثري للقارئ لتضعه في عالم مليء بالتشويق، وتغريه في عالم القراءة والدراسة.

اكتسبت الرواية ملامح وخصوصيات لم تكن موجودة في وقت مضى، اكتسبت أغلبها من خلال تفاعلها مع عديد الفنون والأجناس، فالرواية شكل أدبي قادر على امتصاص أجناس أدبية وغير أدبية كثيرة.

وقد كانت دراسة البنية السردية بشكل عام وعناصرها بشكل خاص، من بين الدراسات التي مست الرواية، وقد ارتأينا لدراسة الفضاء باعتباره عمادا أساسيا في عالم الرواية، ويمكن أن تكون المادة الجوهرية للكتابة، خاصة وأن هناك تفاعل كبير بينه وبين المكوّنات السردية الأخرى من شخصيات وأحداث ومن هناك يتضح لنا أهمية الفضاء الذي يعمل انسجام وتماسك العمل الروائي.

ونظرا للأهمية البالغة التي يكتسبها الفضاء في بناء الرواية جاء البحث لكشف عن شعرية الفضاء في رواية " الغريبة" لمليكة أوفقير، ممّا دفعنا إلى طرح الإشكال التالي هل تحقق البعد الجمالي خلال دراستنا في رواية الغريبة أم لا؟ وكيف تجلى ذلك؟

وقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع لعدة أسباب أهمها:

- إعجابنا بالرواية خاصة أن عنوانها مثير، يلفت الأنظار وقد نجحت الروائية أوفقير في تصوير حياة ما بعد السجن التي تصفها بالجحيم. وقد كان فضاء السجن فضاء مميز عن باقي الفضاءات لم تتيح للجميع فرصة رؤيته إلا السجين، فهو يصوّره وقد تختلف طريقة التصوير من سجين لآخر.
- محاولة توضيح جماليات هذا الفضاء المكتوب في عتمة السجن.

لذلك وقفنا على عدّة إشكاليات وتساؤلات وهي:

- ما مفهوم الفضاء؟ وما هي أنواعه وما الفرق بينه وبين المكان؟.
- ما دور الشخصية والزمن في بناء الفضاء الروائي؟ وما العلاقة بينها وبين الفضاء؟.
- هل ساهم الفضاء في إعطاء رواية الغريبة بعدًا جماليا؟.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج البنيوي الذي عمل على تحليل هذا العمل الروائي من الداخل، ودراسة كل عنصر على حدى، ثم النظر في العلاقات التي تربط هذه العناصر، وفي هذا الصدد جاءت ضرورة وجود خطة منهجية تضمنت مدخل وفصلين، مقدمة وخاتمة.

المدخل وهو فصل نظري تناولنا فيه التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الفضاء مع إبراز الفرق بين الفضاء والمكان، وهذا نظرا للبس الذي كان يعتري هذا المصطلح، وكان لابد من أن نتطرق إلى أنواع الفضاء ابتداءً من اعتباره كمعادل للمكان (جغرافي)، أي: كمنظور، ثم الفضاء الدلالي إلى الفضاء النصي.

وقد خصصنا جزء لإعطاء نظرة عامة عن أدب السجون وخاصة وأن الرواية تندرج ضمن أدب السجون.

الفصل الأول: وهو فصل تطبيقي يحمل عنوان(**تجليات الفضاء الروائي في رواية الغريبة لمليكة أوفقير)**، درسنا المحيط النصي في الرواية بما فيه من دراسة دلالة العنوان، المؤشر الشكلي، المؤشر الجنسي، عدد صفحات الكتاب، دار النشر، المترجم، الإهداء، الغلاف الداخلي. وفضاء الكتابة والتصفيح بأبعاده الأربعة، الكتابة الأفقية والعمودية، البياض، علامات الترقيم، الهامش، ثم الفضاء الجغرافي وبعدها الدلالي.

الفصل الثاني: وهو فصل تطبيقي أيضا تحت عنوان **(علاقة التقنيات السردية بالفضاء)**، حيث تناولنا فيه جانبي الشخصية والزمن، قمنا بتعريف الشخصية وأبعادها ومدى علاقتها بالفضاء والزمن وعلاقته بالفضاء.

وأخيرًا الخاتمة تحتوي على أهم النتائج التي توصلنا إليها في كلا الجانبين النظري والتطبيقي، وقد استطعنا بهذا العمل المتواضع الذي لا يمثل إلا نقطة من بحر الدراسات النقدية الإحاطة بمفهوم الفضاء وأنواعه وكيف ساهم في إضفاء صفة الجمالية في رواية " الغريبة" لمليكة أوفقير، وقد اعتمدنا في بحثنا عدة هذا على عدّة مصادر ومراجع في ذات الموضوع وقد كان المصدر الأساسي المعتمد عليه هو رواية " الغريبة" بأن تكون هذه أوّل دراسة نقدية لها أملين أن تكون نقطة بداية للدراسات الأخرى مستقبلا، ومن جهة أخرى

اعتمدنا على مجموعة من المراجع القيمة كذلك الغنية بالمادة الأدبية منها: حسن بحراوي بينة الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، حميد لحميداني (بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي)، حسن نجمي(شعرية الفضاء السردي الثقافي العربي)، إضافة إلى نظرية السرد (من وجهة النظر والتبئير) لجيرار جنيت، وفي نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) لعبد المالك مرتاض، ورواية " الغريبة " لمليكة أوفقير التي اتخذنها مصدرا لدراستنا التطبيقية في هذا البحث.

وككل بحث لم يخل بحثنا هذا من عراقيل حالت دون سيره بسهولة ولعل أهمها: كثرة المصطلحات واللبس والاختلاط بينهما فيما يتعلق بموضوع الفضاء هذا ما صعب علينا الخروج بمصطلحات دقيقة وصحيحة. إضافة إلى أن بحثنا هذا جاء في مرحلة صعبة (جائحة فيروس كورونا كوفيد19) هذا ما لم يتيح لنا فرصة الاستفادة بقدر كبير من المراجع نظرا لغلق المكتبات وعدم التواصل بطريقة مستمرة مع الأستاذ، والاستفادة من إرشاداته أكثر لولا التواصل الإلكتروني، ورغم ذلك فإنه لم يبخل علينا بما لديه.

وفي الأخير نقدّم بالشكر والحمد لله تعالى ثم الشكر للأستاذ " **عالم موسى** " الذي كان لنا خير سند ومساعد في إتمام هذا البحث.

المدخل:

1. تعريف الفضاء لغة واصطلاحا
2. بين الفضاء والمكان
3. أنواع الفضاء الروائي:
   - ✓ الفضاء الجغرافي(كمعادل للمكان)
   - ✓ الفضاء كمنظور أو كرؤية
   - ✓ الفضاء الدلالي
   - ✓ الفضاء النصي
4. أدب السجون أدب المعاناة

مدخل:

تحديد المصطلحات:

1. الفضاء الروائي:

فرض مصطلح الفضاء نفسه في حقل الدراسات والبحوث الحديثة لأنه " يُمثل إلى جانب الشخصية والزمن الروائي والأحداث، الأسس الفنية والجمالية التي ينهض عليها المتن الروائي"[1]، وقد جاء الاهتمام به بعد الإهمال الذي مسه " بسبب انصراف النقاد والباحثين إلى جانب التركيز على عناصر أخرى كالزمن والشخصيات... ولكن الفضاء أيضا يُعد عنصراً من عناصر النص الروائي."[2]، فهو يجمع بين كل العناصر المشكلة للعمل الروائي السرد، الشخصيات، الزمن، والمكان.

أ. لغة:

تناولت المعاجم العربية مفهوم الفضاء بإسهاب، حيث ورد في "لسان العرب" أن " الفضاء هو المكان الواسع من الأرض، وقد فضا المكان أي وصل إليه وأصله أي أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه." [3].

---

[1]– حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الهوية في الرواية العربية، دراسات نقدية، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 59.

[2]– فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2010، ص123.

[3]– ابن منظور الانصاري، لسان العرب، المجلد السابع، تح: عامر أحمد حيدر مراجعة عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005،ص174.

و هو بهذا المعنى المكان الخالي الذي لا يشغله شيء، فالفضاء إذن هو " الخالي الفارغ الواسع من الأرض... والفضاء: الساحة واتسع من الأرض" [1]، وهذا ما قد نلتمسه في تعريف **الزبيدي** في تاج العروس " فالفضاء: الساحة وما اتسع من الأرض، وقول **أبو علي القالي:** " الفضاء: السعة، ومنه المفضاة والمفضي: المتسع"[2].

أما صاحب المعجم الوسيط فقد ربط ، الفضاء بمفهومي الاتساع والخلوّ من الأشياء، ولم يزد على تعريف المعاجم الآنفة الذكر جديدا، فورد الفضاء بمعنى " ما اتسع من الأرض، والخالي من الأرض، ومن الدار: ما اتسع من الأرض أمامها، وما بين الكواكب والنجوم من المسافات لا يعلمها إلا الله"[3].

ب. اصطلاحا:

يعتبر الفضاء العمود الفقري الذي يقوم عليه العمل الروائي حيث أصبح لا يمثل الشخصية ولا الخلفية التي تدور فيها الأحداث فحسب، إنما هو الركيزة الأساسية الذي يقوم عليها التعبير عن المقومات الثقافية المجتمعية حيث يعتبر **لوتمان** (Lotman) أن" الفضاء يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب... ولم يعد مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية كما لا يعتبر معادلًا كنائيًا للشخصية الروائية فقط. ولكن أصبح ينظر

[1]– ابن منظور الانصاري، لسان العرب، ص195.

[2]– محمد الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد الثامن، دار الكتب العلمية، ط1، 2007، ص117.

[3]– معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية للمجمعات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر، ط4، 2004، ص694.

إليه على أنه كان ومازال يلعب دورًا هامًا في تكوين هوية الكيان الجماعي، وفي التعبير عن المقومات الثقافية في جميع أنحاء العالم"[1].

ولم يكن مصطلح الفضاء قديما، بل حديثا دخل حقل الدراسات النقدية الأدبية وفرض نفسه " لأنه يمثل إلى جانب الشخصية والزمن الروائي والأحداث الأسس الفنية والجمالية التي ينهض عليها المتن الروائي."[2].

في حين أشار **حميد لحميداني** إلى مفهوم آخر لهذا المصطلح قائلا " إن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعًا، إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية"[3]، فهو ذلك العالم الواسع، الذي تدور فيه الأحداث، و يحتضنها جميعا.

حيث يعتبر "عموما الفضاء هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال، وبقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمن يتفاعل مع الفضاء"[4]، إذن هو ذلك العالم الفسيح، فالفضاء لايحوي أحداث الشخصية فحسب، بل يتغلغل و يتفاعل داخل حياة الفرد، أو الشخصية في (الرواية) فيحمله أينما حل، فهو يلفه و يحيطه زمن المستحيل و إحداث أي قطيعة بين الفضاء و الشخصية .

---

[1]– حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت الحمراء شارع جان، الدار البيضاء، 42 شارع الملكي الأحباس، ط2، 1993، ص65.

[2]– فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 123.

[3]– حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

[4]– نصيرة زوزو، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، قسم الأدب كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد06، د ط، جانفي 2010، ص 85.

2. بين الفضاء والمكان:

لم يقف مصطلح الفضاء على مفاهيم ثابتة خاصة به بل اعتراه اللبس والخلط مع مصطلح آخر وهو المكان، فقد اهتم النقد الغربي، وبعده العربي، بعلاقة الفضاء / المكان وذهب النقاد في ذلك إلى مذاهب كثيرة أهمها:

- إن الفضاء معادل للمكان:" والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء، ومادامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا، إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية"[1]، فالفضاء هو الذي يحتوي جميع الأمكنة التي تدور فيها أحداث الرواية.
- أما حميد الحميداني رأى أن الفرق بين الفضاء والمكان يكمن في ثبات الأول وحركة الثاني فقال:" مجموع هذه الأمكنة يمكن أن يطلق عليها من الوجهة المنطقية اسم(فضاء) لأن الفضاء أشمل وأوسع من الدلالة الثابتة للمكان"[2]، فهو يعتبر مجموعة من الأمكنة الموجودة في أي عمل روائي وكل الأعمال الإبداعية التي تدور فيها الأحداث وتتصرف فيها الشخصيات.

وقد تطرقت **سيزا أحمد قاسم** إلى هذا الموضوع (علاقة المكان بالفضاء) فقالت: "وبذلك نجد أن النقاد المحدثين يستخدمون ما يقابل كلمة الموقع (المكان، الفراغ) للتعبير

[1]– حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

[2]–أوريدة عبود، المكان في الرواية القصيرة الجزائرية الثورية، (دراسة لنفوس ثائرة)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو ـ الجزائر، (د ط)، 2009، ص40.

عن مستويين مختلفين للبعد المكاني: أحدهما محدد و يرتكز فيه مكان وقوع الحدث، و الأخر أكثر اتساعا، ويعبر عن الفراغ المتسع الذي تتكشف فيه أحداث الرواية "[1]، إذن هناك من النقاد الذين يعتبرون الفضاء أكثر اتساعا وشمولا من المكان، حيث يبحثون دائما، أين جرت أحداث الرواية، وعملوا أيضا على تحديد مكان وقوع الحدث بالضبط، أما الفضاء فهو الحيز الواسع التي تدور فيها أحداث الرواية بصفة عامة.

وقد وظّف **عبد المالك مرتاض** مصطلح **الحيز** بدل الفضاء، فقال: " لقد خضنا في أمر هذا المفهوم، وأطلقنا عليه مصطلح الحيز مقابلا للمصطلحين الفرنسي والإنجليزي (espace space) في كل كتاباتنا الأخيرة"[2].

وقد علّل **عبد المالك مرتاض** سبب استعماله لمصطلح الحيز بقوله :" مصطلح الفضاء من متصورنا على الأقل، قاصر بالقياس إلى الحيز لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الهواء والفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف إلى استعماله إلى النتوء والوزن، الثقل والحجم والشكل, على حين أن المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده"[3]. نجد أنّ عبد المالك مرتاض رفض لفظة الفضاء و سماه بالحيز

[1]–سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، دار التنوير بيروت ـ لبنان، ط1، 1985، ص106.

[2]–عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني لثقافة والفنون والأدب، الكويت، شعبان ديسمبر 1419هـ، ص121.

[3]– المرجع نفسه، ص121.

لأن من منظوره الخاص ان الفضاء قاصر بالقياس الى الحيز فهو مرتبط به، فهو يجوب الفراغ و المكان نستعمله في العمل الروائي بمفهوم الحيز .

أما **حسن بحراوي** فزاوج وطابق بين هذين اللفظين في قوله: " إن الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى، لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي بامتياز، إنّ الفضاء لا يوجد سوى كم خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه ويحمله طابعا مطابقا لمبدأ المكان نفسه"[1]، والمعنى أن الفضاء كغيره من مكونات العمل الروائي لا وجود له، بل نلتمسه من خلال اللغة حيث يقدم الروائي برسم فضاء يعكس صورة المكان بالتالي لا يمكنه ملاحظة أي فرق بينهما.

3.أنواع الفضاء:

لم يحظَ مصطلح الفضاء بتقسيم واحد، فقد تعددت تقسيماته من ناقد إلى آخر، كل حسب خلفيته المعرفية.

1. الفضاء الجغرافي (كمعادل للمكان):

" يفهم الفضاء في هذا التصور على أنه الحيز المكاني في الرواية أو الحكي عامة ويطلق عليه الفضاء الجغرافي (L'espace géographique)[2]، وهو الفضاء الذي تدور

[1]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط1، 1990، ص 27.

[2]– حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص53.

فيه أحداث الرواية حيث يدفع القارئ إلى إطلاق العنان لخياله الجامح من أجل رسم ذلك الفضاء، وهو الأداة التي تسمح للقارئ بالدخول إلى عالم النص. وبالتالي هناك ارتباط بين الفضاء الجغرافي" بالأماكن، الآن الإنسان يرتبط بالمكان ارتباطا وثيقا فللمكان وجود على مستوى المرجع وعلى مستوى المفهوم واللغة"[1] ، وهو يحمل معنى المكان الذي تدور فيه أحداث القصة المتخيلة لا المكان الذي تشغله الكتابة الطباعية " ذاك الذي يتولد من مضمون القصة الروائية لا مما تحتله الكتابة على الورق"[2].

لقد قام كثير من الاختصاصيين في دراسة الفضاء الحضاري بعزل الفضاء عن المضمون وانتشاله بعيدا عنه " فهؤلاء لا يهمهم من سيسكن هذه البنايات ومن سيسير في هذه الطرقات، ولا ما سيحدث فيهننا، ولكن فقط أن يدرسوا بنية الفضاء الخالص"[3].

وهذا ما انتقدته **جوليا كريستيفا (Julia kristiva)** ، حيث أقرت باستحالة عزل الفضاء عن دلالته الحضارية التي تكون مرتبطة بعصر من العصور، حيث تسود ثقافة معينة أو رؤية خاطئة للعالم "وهذا ما تسميه إيديولوجيم (Idéologème) وهو الطابع الثقافي العام الغالب على عصر من العصور" [4]، ومعنى ذلك أن لكل عصر خصائصه الحضارية التي تميزه عن غيره من العصور، فاذا أخذنا العصر العباسي و هو العصر

[1]– صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، الأردن، ط2، 2009، ص186.

[2]– حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص53.

[3]– المرجع نفسه، ص54.

[4]– Julia Kristeva, le texte du roman, Approche sémiotique structure discursive transformationnel, mouton, 1976 ; p182.

الذهبي كما سمي طبع بطائع الرفاهية و الثراء و التقدم الاقتصادي و العلمي و كثر فيه الشعر و عرف بالاستقرار من كل النواحي، هذه السمات كلها شكلت تلك الصورة المميزة لهذا القصر وبالتالي قامت **جوليا كريستيفا** بعرض التصور السائد عند أدباء القرون الوسطى " الذين كانوا يؤسسون فضاء تتقابل فيه السماء التي فيها تعارض بين الجنة والنار مع الأرض التي فيها تعارض بين الدير ومكان الخطيئة "[1].

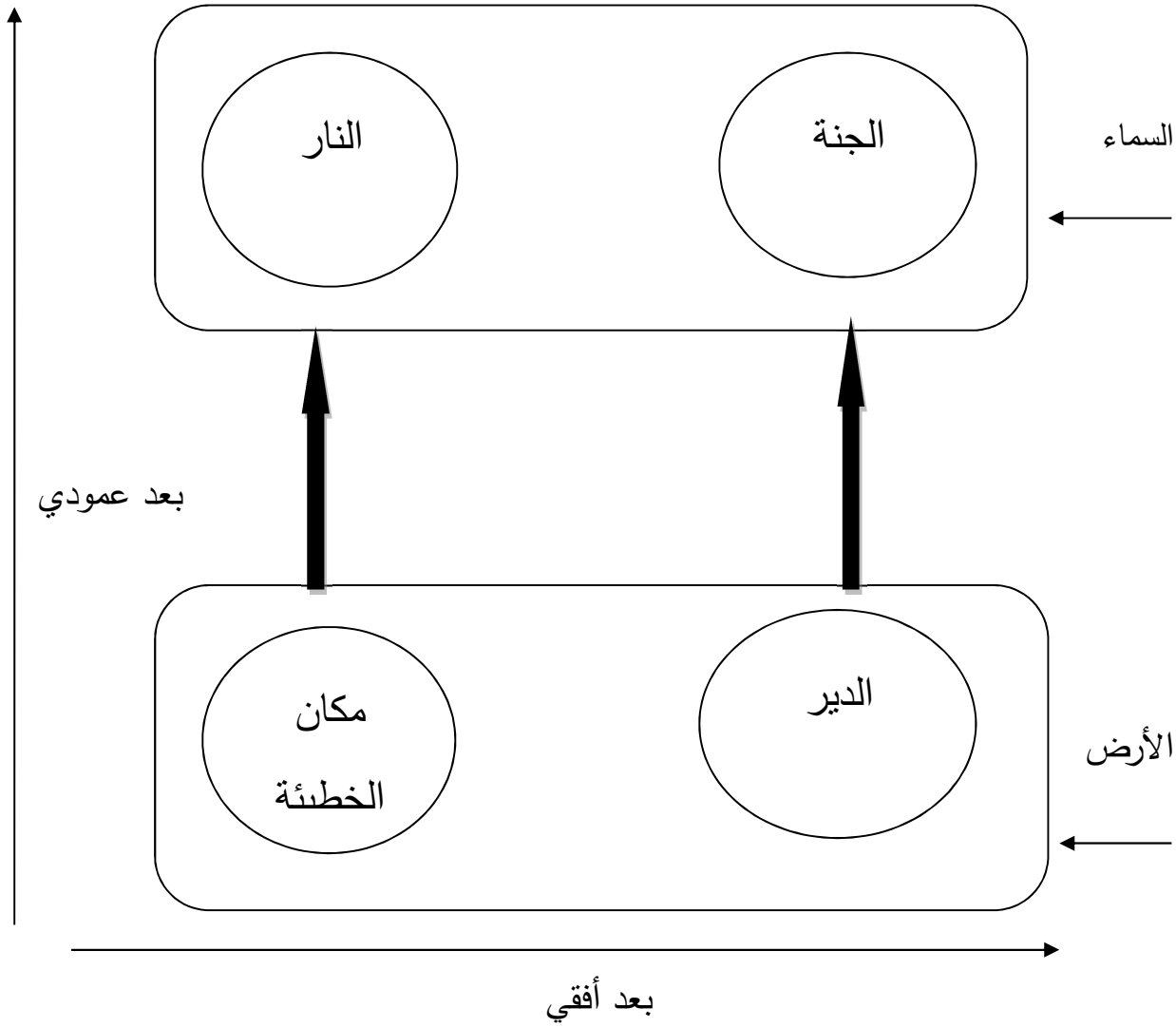

[1]–حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص54–55.

ففي هذا المخطط يظهر التعارض بين الفضاءين السماء التي فيها تعارض بين الجنة والنار، والأرض التي فيها بين الدير ومكان الخطيئة، حيث تتخذ الحركة بعدًا عموديا أو أفقيا.

2. الفضاء كمنظور أو كرؤية:

تحدثت عنه" **جوليا كريستيفا** " عندما تحدثت عن الفضاء النصي، إلاّ أنها لم تربطه بالدلالة نفسها، باعتباره زاوية النظر التي يقدم بها الكاتب أو الراوي عمله الروائي، "هذا الفضاء محول إلى كل، إنه واحد، وواحد فقط، مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب التي تهيمن على مجموع الخطاب، بحيث يكون المؤلف بكامله متجمعا في نقطة واحدة، وكل الخطوط تتجمع في العمق حيث يقبع الكاتب، وهذه الخطوط هي الأبطال الفاعلون (les actants) الذين تنسج الملفوظات بواسطتهم المشهد الروائي"[1]، فالعمل الروائي له علاقة وطيدة بينه وبين الكاتب أو الراوي، فهو من يرسم الخطة للعمل ويدير الحوار ويشكل الأحداث ويتصورها ويحرك وفقها الشخصيات.

3. الفضاء الدلالي:

لقد تحدث **جيرار جنيت** (Gérard Genette) عن الفضاء الجغرافي الذي يتولد عن القصة في الحكي وقام بشرح طبيعة هذا الفضاء على الشكل التالي:" إن لغة الأدب لا تقوم

[1] – حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص61.

بوظيفتها بطريقة بسيطة إلا نادر، فليس للتعبير الأدبي معنى واحد، إنه لا ينقطع عن أدب يتضاعف وبتعدد، إذ يمكن لكلمة واحدة مثلا أن تحمل معنيين، تقول البلاغة عن أحدهما بأنه حقيقي وعن الآخر بأنه مجازي"[1] هذا يعني أن الفضاء الدلالي يمكن أن يتأسس بين منظورين و هما : المدلول المجازي، و المدلول الحقيقي.

ويعتبر " **جيرار جنيت**" أنّ هذا الفضاء ليس شيئا آخر سوى ما ندعوه عادة صورة (Figure)، فقال: "إنّ الصورة، هي في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء، وهي الشيء الذي تهَب اللغة نفسها له، بل إنها رمز فضائية اللغة الأدبية في علاقتها مع المعنى" [2]، ففي نظره أن الفضاء الدلالي هو ما له ارتباط بالصورة المجازية وما تحمله من أبعاد دلالية فلا يخلو أي عمل أدبي من الصور.

4. الفضاء النصي:

هو فضاء مكاني " غير أنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكائية[3] "، هذا يعني أن الفضاء النصي هو الذي يظهر شكل العمل الروائي الداخلي و الخارجي .

كما يمكن اعتبار مصطلح الفضاء النصي هو " الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها، باعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورقة، و يشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف، و وضع

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص131.

2 - حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص61.

3 - فيصل الأحمر , معجم السميائيات , ص 129.

المصطلح و تنظيم الفصول , وتغيرات الكتابة المطبعية و تشكيل العناوين و غيرها[1] " وفي نفس السياق يقول أيضا حميد الحميداني " هو فضاء مكاني لأنه لا يشكل الا عبر المساحة، مساحة الكتاب و أبعاده غير أنه مكان محدود، فهو مكان تتحرك فيه عين القارئ "[2]، لقد أصبح ضمن اهتمامات الكاتب توظيف أشكال و أسلوب كتابة لجلب القارئ، وتستهويه انطلاقا من عنوان الكتاب فينتقل من قراءة العنوان الى تصفح الرواية، ثم اتخاذ القرار من القراءة أو عدمه .

" كما يشير بونور إلى مجموعة من مظاهر تشكل فضاء النص لا تهم الرواية فقط، بل يمكن معادتها في جميع الكتب " فقد ذكر أهمها و هي : الكتابة الأفقية، العمودية...[3] ".

أ _ الكتابة الأفقية:

وهي الكتابة الموجودة في الصفحة البيضاء، تلك التي تبدأ من اليمين الى اليسار، وهذه الكتابة قد تعطي تصور لنا الأفكار و الأحداث التي تكون في ذهن الروائي، وهو بذاته يترجمها عن طريق الكتابة، وقد تكون الصفحة مشحونة و مملوءة من أعلاها إلى أسفلها، مثل ما هو موجود في الشكل :

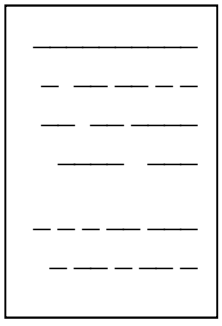

[1] – حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص 55.

[2] – المرجع نفسه، ص 56.

[3] – المرجع نفسه، ص 56.

ب _ الكتابة العمودية:

وهي الكتابة في الصفحة بطريقة جزئية، فما يخص العرض كان نكتب على اليمين أو الوسط , وهي عبارة عن أسطر قصيرة، وتتفاوت في الطول بين بعضها البعض، وعادة ما يكتب فيها النص الروائي أشعار على النمط الحديث، حيث يقدم لنا حوارات على شكل جمل قصيرة، و على شكل كتابة عمودية، وعند تضمين النص الروائي أشعار عمودية نحصل على كتابة عمودية متوازية، كما هو موضح في الشكل .

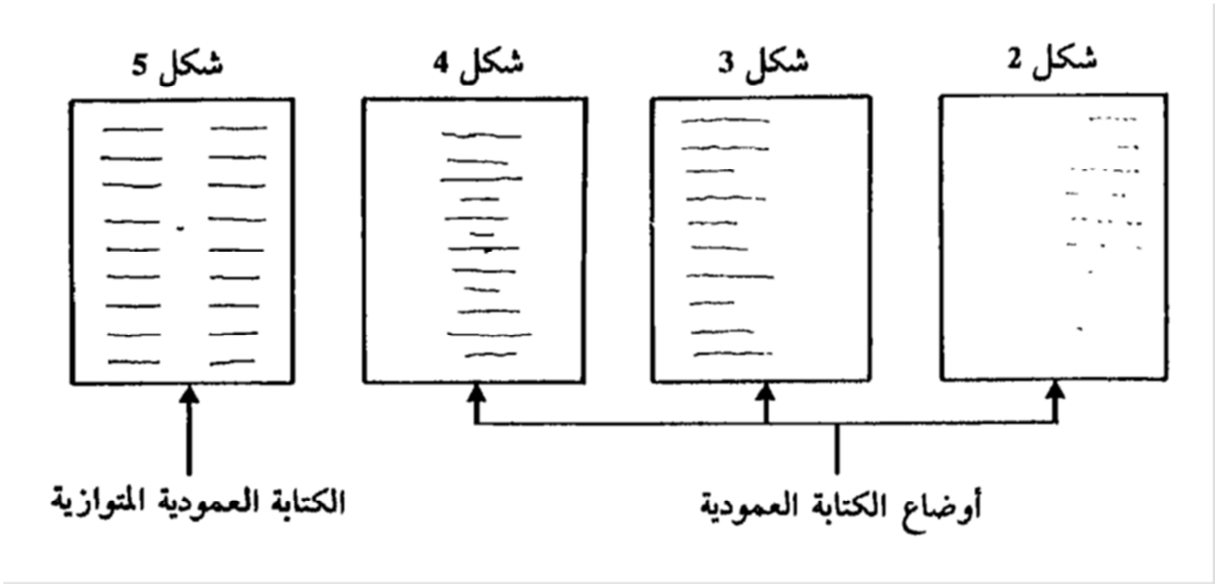

4. أدب السجون / أدب المعاناة:

يعتبر الأدب فعلا فكريا إنسانيا يمارسه الفرد بإرادته ويترجم ما بداخله ويراه حوله، وتعد الرواية أحد أشكال هذا الأدب , وباعتبار الرواية هي القادرة على استيعاب موضوع السجن فهي " النوع الأدبي الأقدر على النطاق المسكوت عنه في الخطاب الثقافي

والاجتماعي العام ونوع الأجسر في مواجهة القمع وتعرية مشاكل التعصب [1] "، و ذلك بفضل وسائلها الفنية المختلفة .

إذن الرواية هي سرد نثري يضم مجموعة أحداث واقعية أو خيالية وتتخذ موضوعاتها من الواقع إلا أن **لوسيان جولدمان(Lucian Goldman)** اعتبر فن الرواية نابعا من عامل الرفض، حيث يلجأ الروائي إلى الكتابة الأدبية نتيجة تأثره بالواقع المحيط به ليجد الكتابة كوسيلة لانتقاد هذا الواقع ورفضه، فالرواية الحديثة هي" بحث عن قيم أصلية في عالم منحط"[2]، فالكاتب يجد في الرواية الجنس النثري الملائم للتعبير عن الواقع الحديث النثري، الذي فقد وحدته الملحمية القديمة، وتفككت فيه العلاقات الاجتماعية.

ويعتبر السجن أحد المواضيع الذي أستطاع فن الرواية أن يحتويه، فقد أعطت الرواية مساحة أوسع وحرية أكثر كان يبحث عنها السجين داخل قضبان السجن ليجد مكانا أوسع فيترجم كل تلك المعاناة والحرمان والظلم بالكتابة لأن " فرصة الكتابة نثرا تتيح مجالا أوسع للتعبير عن الحياة وواقع المجتمعات"[3] .

[1] _ جابر عصفور، ريادات مهمشة، مجلة فصول، القاهرة، مج : 16، ع : 04، 1998، ص 13.

[2]– لوسيان جولدمان، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عزدوكي، دار الحوار للنشر اللاتينية، سوريا 1992، ص 21 .

[3]– محمد الحطب، الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1987، ص107.

وقد كانت الكتابة هي الوسيلة الوحيدة التي كان السجين يمتلكها سواء داخل السجن أو خارجه، فالسجن هو"عالم الأضداد بامتياز، ولعلها مفارقة وجودية كون أصغر الفضاءات (الزنازين) هي التي أنتجت أرحب التخيلات والذكريات وأطول الاختراعات والأحلام".[1]

وقد عرف **ممدوح عدوان** أدب السجون في كتابه "حيونة الإنسان" بقوله:" هو نوع من الأدب الذي استطاع أن يكتبه أولئك الذين عانوا السجن والتعذيب، خلال فترة سجنهم وتعذيبهم أو بعدها، أو الذين رصدوا تجارب سجناء عرفوهم أو سمعوا عنهم "[2] فلم يكن أدب السجون نتاج فردي ذاق مرارته السجين فقط فكم من أديب ومفكر كتب عن تجارب غيره.

[1]– محمد رمصيص، أدب السجون المغربي، أنطولوجيا (أنطولوجيا السرد الغربي)، شرقي الاتجاه الاشتراكي، يوم 27-11-2015). http://alantologia.com/blogs/12331/ .

[2]– ممدوح عدوان، حَيْوَنة الإنسان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 6، 2016، ص 16.

الفصل الأول: تجليات الفضاء الروائي في رواية "الغريبة" لمليكة أوفقير

1. أنواع الفضاء الروائي.

- ✓ الفضاء النصي
- ✓ الفضاء الجغرافي
- ✓ الفضاء الدلالي

(تطبيق على رواية الغريبة **لمليكة أوفقير**)

تمهيد:

استطاعت رواية (الغريبة) أن تفرض نفسها في مضمار الرواية الحديثة، بما حملته من إثارة وتشويق، فهي شهادة حيّة عن حياة السجن والمعاناة وحياة البداية بعد السجن، حيث يقف القارئ يتصفحها صفحة بعد صفحة ليعيش كل لحظة مرت بها تلك المسجونة وعائلتها ظلمًا.

وقد ساهمت (الفضاءات) في رواية الغريبة في إعطائها لمسة جمالية رائعة، ما جعلنا مضطرين للوقوف عندها واستخراجها لنبيّن بعد ذلك أنواعها ونكتشف جماليتها، ورغم تعدّد الفضاءات في الرواية، فسنحاول على الأقل وضع القارئ في أجوائها الفنية التي صنعت جانبا لا يستهان به من عالم الرواية.

1. أنواع الفضاء الروائي في النص:

لقد سبق و أشرنا إلى أنواع الفضاء الروائي و تعددها، من فضاء نصي، إلى فضاء جغرافي و دلالي، و سنحاول فيما يلي استخراج و استنباط و الوقوف عند كل نوع.

I. الفضاء النصي:

أولا: المحيط النصي الداخلي: L'prétexte:

أ. **المؤشر الجنسي:** هي رواية مكتوبة باللّغة العربية الفصحى وترجمت عدة مرات.

ب. **المؤشر الشكلي:** يحمل الكتاب غلافا لونه بنفسجي، فيه صورة لمليكة أوفقير بطلة الرواية وهي مبتسمة، وفي عينيها بريقٌ يملؤه الأمل. (أنظر الصورة 1 في الملحق ص75).

- **العنوان:** (الغريبة) مكتوب بخط غليظ باللون الأبيض ويحمل دلالة الشعور الذي لازم مليكة طول فترة حياتها بعد خروجها من السجن حيث تعتبر نفسها غريبة عن العالم الذي يحيط بها.
- **الكاتبة: ميشيل فيتوسي،** روائية فرنسية ذات أصول تونسية، ولدت في 24 نوفمبر 1954، ألفت رواية السجينة التي تحكي حكاية واقعية لأبناء أوفقير وحكاية سجنهم في الصحراء الكبرى.
- **عدد صفحات الكتاب:** مائتان وخمسة وأربعون (245) صفحة.
- **دار النشر:** دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- **المترجم:** هو حسين عمر.
- **الإهداء:** الإهداء " إلى ذكرى سعيدة منبهي" و" إلى جاندا وحدها طبعًا " على الأرجح أن اسم جاندا هو امرأة قد تكون زوجة المترجم حسين عمر، أو أمه، أو حبيبته ولها مكانة خاصة حيث خصها بالإهداء دون سواها.
- **الغلاف الداخلي:** يتضمن الغلاف الداخلي معلومات عن الكتاب باللغة الفرنسية واسم الكاتبة ميشيل فيتوسي وترجمة الغريبة بالفرنسية التي هي L'étrangère.

- تحتوي الرواية على ثمانية عشر بابًا، كل باب بعنوان خاص به كالتالي: الرجل الأول في حياتي، الحرية المرّة، إريك الشرقي، الخوف من الآخرين، هير في باريس، حيث كان المال ملموسًا، البؤس، الشهية، الكتابة، شهادة على الحياة، مغربي، الملتحيان، سجينة الصحراء، أن أكون أما أخيرا، حب في الأربعين، الحلم الأمريكي، موت الملك، الولادة من جديد، التعويض.
- ومقدمة للكاتبة ميشيل فيتوسي وهي بمثابة تلخيص لما روته مليكة لها عن حياتها وعن الحياة الظالمة التي تعيشها. فنجد في المقدمة تقنية استباق الأحداث، حيث يقف القارئ عند الحياة المستقرة الحرة التي تعيشها مليكة رفقة زوجها وابنها بالتبني في باريس.
- نادرًا ما نجد تهميشًا يشرح كلمة قد تكون أجنبية أو غير معروفة لدى الجميع مثل كلمة (بياف) التي ورد في تهميشها أنها مغنية فرنسية مشهورة 1915ـ 1963 أشتهر أدائها بالقوة والانفعال.
- أما ترقيم الصفحات فهي مرقمة بالأرقام العربية.

ثانيا: المحيط النصي الخارجي:

تعد رواية الغريبة من الروايات التي لاقت رواجًا واسعًا في العالم العربي والعالمي، وهذا يعود إلى عدة عوامل أهمها:

- تعتبر شهادة حية عن حياة السجن ظلمًا لعائلة أوفقير من طرف الملك المغربي، كما أنّها سيرة ذاتيّة لمليكة أوفقير البنت الكبرى لمحمد أوفقير، التي كان لها دور فعّال في الرواية.
- ترجمت الرواية عدة مرات، واشتهرت من خلال برنامج أوبرا وينفري الامريكي ما حقق نسبة مبيعات كبيرة.

II. الفضاء الجغرافي:

يعتبر الفضاء الجغرافي في رواية الغريبة ذلك المكان الذي تدور فيه أحداث الرواية أو مجموع الأمكنة التي تتصرف فيها الشخصيات، فنجد في الروايات عدة فضاءات منها:

- **فضاء القصر**: وهو المكان الذي عاشت فيه البطلة طفولتها " أحد عشر عامًا بعيدة عن أسرتها "[1]، مع ابنة الملك محمد الخامس اللامينة ، لتحمل هي الأخرى اسم " اللابهية "و "" اللابهية كان اسمي"[2]، " وهي الملكة الصغيرة في اللغة العربية ليلخص ذللك حياة الأميرات التي عاشتها مليكة في القصر، حيث " تلقت مليكة تربية أميرة حقيقية"[3]، لا نجد وصفا مدققا لما في القصر، سوى ذكر مليكة بأن هناك مربية ألازاسية تعتني بهما، ووجود محظيات، وأنها تلعب الغولف والفروسية وكثيرة السفر والحفلات.

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت (د ط)، 2006، ص 15.
[2]– المصدر نفسه، ص 39.
[3]– المصدر نفسه، ص 15.

لقد رسمت مليكة صورة لفضاء القصر على أنه بداية لسلب حريتها، حيث أُخذت من حضن أبويها وهي ذات الخمس سنوات، وكانت تقول: " أحيانا حينما أروي هذه الحكاية الخارقة، أشعر أن الناس لا يصدقونني يتساءلون: أخذ طفلة في الخامسة من والديها؟"[1]، وتضيف "... كانت السراي تعج بنساء لا هوية لهن، بنساء مجهولات كن يختمن حياتهن حزينات، في عزلة ترتسم تغضنا على وجوههن[2] "، فقد قضت طفولتها في الفضاء الواسع، المرح المليء بالرفاهية.

- **فضاء المغرب:**

وقد كان المغرب البلد الذي عاشت فيه مليكة وأسرتها، تربت في القصر الملكي وسجنت في سجن مغربي.

- **فضاء السجن:** لا يمكن أبدًا لقارئ هذه الرواية أن لا تترسخ في ذهنه صورة السجن فقد حبست في زنزانة انفرادية مع إخوتها في حين حبست أمها مع أخيها الأصغر ذي الثلاث سنوات، لتضع مليكة ثقبا بين هاتين الزنزانتين للتواصل مع أمها، كانت تعيش التخلف " لولا الراديو الذي كنا نخفيه عند أي تفتيش[3] "، كان صوت الراديو يدخل عبر تلك الثقبة المشتركة بين الزنزانتين، كما كانت تروي قصصًا خيالية لجمهور عائلي محروم من كل شيء كما كانت تقول.

---

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 41.

[2]- المصدر نفسه، ص 40.

[3]– المصدر نفسه، ص45.

وبغض النظر عن القصر والسجن كونهما فضاءين مهمين، احتضنا مجموعة من الأحداث والشخصيات، فإننا نجد فضاءات أخرى مثل الفيلا التي عاشت فيها مليكة وعائلتها بعد هروبهم من السجن ووضعهم تحت الإقامة الجبرية، فقد مكثت في فيلا ميسورة بجدران عالية في طريق على بعد بضع كيلومترات عن مراكش"[1] .

وذكرت مليكة فضاء الصالون (صالون البيت) الذي كانت تتواجد فيه لحظة الإعلان عن الانقلاب الذي قام به أبوها ضد الملك " السادس عشر من آب 1972 كنت في صالون بيتنا في الدار البيضاء[...] مات أبوك خذي حوائجك وعودي إلى الرباط "[2].

- **فضاء باريس:** تعتبر باريس المدينة التي احتضنت مليكة بعد السجن، فلا شك أنها كباقي المدن بشوارعها وأزقتها ومطاعمها ساهمت في بروز واتضاح فضاء المدينة بداية من حفل زفاف مريم وكميل بن جلون، وهما صديقين لمليكة تزوجا وحضرت زفافهما، حيث تصف مليكة ذلك: "... الموكب من النساء المتزينات بالحلي والمتبرجات... بعد طقس الحمام، الذي تذهب إليه العروس صحبة صديقاتها..."[3].

وبما أن باريس كانت تُعرف بمدينة الرومانسية والهدوء، مدينة الحب، فإن في الرواية ما يظهر ذلك ويؤكده وهو مطعم (الكوبول) " المطعم الشهير في مونبارناس..."[4]، كانت مليكة

[1]- مليكة أوفقير، الغريبة، ص 46.

[2]- المصدر نفسه، ص43.

[3]- المصدر نفسه، ص 52.

[4]– المصدر نفسه، ص 55.

تصف ذلك المطعم بنظرة أخرى مختلفة تمامًا، بحكم أنها زارت باريس قبلًا (أيام الرخاء والهدوء وأيام الدراسة) " كنت قد تناولت العشاء فيه أكثر من مرة... في ختام العشاء، حل الخوف مكان التعب"[1]، ومما يلخص المعاناة التي كانت تُرهقها بعد السجن " انتابتني أفكار سوداء، صور اعتقال "[2]، هذا هو فضاء المطعم الذي تناولت فيه مليكة العشاء مع زوجها اريك في إحدى لياليها في باريس.

لنجد مظاهر أخرى للمدينة كالمعرض " في معرض ردي واندفعت في خطبة طويلة ملتبسة ومعسولة "[3]، ولا تعد المباني و المرافق من مكونات المدينة (باريس) فحسب بل حتى الناس و تصرفاتهم.....

- والحي الذي اعتبرته مكان هادئ يبعث فيها الراحة و السكينة " حيث تناولت الغذاء في حي صغير هادئ جدا , كما لو أنه خارج من ذكرياتي , ركضت بأقصى سرعة نحو البيت "[4]، كما لو أنها تريد أن تحافظ على ذلك المزاج الهادئ خاصة و انها تمر وسط ضجيج السيارات والدراجات النارية وكأنهم يحومون حولها لتعبر بسرعة دون أن تسمح لأحد معاينة وجهها.

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 55.

[2]– المصدر نفسه، ص 56.

[3]– المصدر نفسه، ص 69.

[4]– المصدر نفسه، ص 68.

- نجد أيضا العمارة (المبنى الذي كانت تسكن في باريس) كمظهر من مظاهر التمدن يتواجد فيه منزل مليكة واريك " سلكت طريقي ودلفت إلى العمارة. "[1].

- والسوبر ماركتك المتجر الكبير الذي أسمته مليكة بالرحبة العملاقة لمعاش الاستهلاك الظافر.

ولا تعد المباني والمرافق من مكونات المدينة (باريس) فحسب بل حتى الناس وتصرفاتهم يعتبرون جزءا من هذا الفضاء. فلا مدينة دون بشر لذلك لم تهمل الرواية وصف ملامح الناس أثناء تجمعهم كقولها: " الندل الساريون المشهورين، المحزمين بزيهم الرسمي الأبيض والأسود"[2]، تلك الرسمية والحزم في الندل.

- **الأماكن المغلقة:**

وهي أماكن " مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب حتى الخوف والتوجس، فالأماكن المغلقة ماديا واجتماعيا يولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في النفس وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا بين الرغبات وبين الواقع، وتوحي بالراحة والأمان وفي الوقت نفسه لا يخلق الأمر بمشاعر الضيق والخوف "[3]، وعليه فإن كل الأماكن التي يتناولها الروائي في

[1]– مليكة أفقير، الغريبة، ص65.

[2]– المصدر نفسه، ص 70.

[3]– أحمد حفيظة، بنية الخطاب في الرواية الفلسطينية، مركز أوغادين الثقافي، فلسطين، ط1، 2000، ص134.

روايته تجسد ذكريات داخل النفس وتولد مشاعرا، سواء أكانت جميلة أم سيئة فهي تحمل معاني كثيرة من أحزان وآلام .

ولا تخلو رواية" الغريبة "من هذه الفضاءات المغلقة، ومنها :

البيت:

يشغل البيت مكانا مهما في حياة الإنسان، فهو المكان الذي يعيش فيه فهو مصدر للراحة والطمأنينة والهدوء والسكينة غالبا، فهو المكان يتصرف فيه الإنسان بحرية دون قيود، وهو المأوى الذي يلجأ إليه كل إنسان، حيث يحميه من التشرد والضياع ويحفظ ذكرياته ويجسد أحلامه. ففي هذه الرواية نجد أن مليكة "تسكن في الدائرة الثالثة عشر في بيتا ايريك"[1]، وهو البيت الذي تعيش فيه هي واريك بحب وحنان .

المكتب:

يعتبر المكتب مكانا يعمل فيه الناس، وقد يكون صغيرا أو كبيرا، ويمكن اعتباره أيضا جزءا من أركان البيت، فهو موجود داخل غرفة، فقد كانت مليكة وميشيل تجلسان في المكتب وتتحدثان داخل منزلها، بينما كان أطفالها يقاطعون حديثهما، فقد كانت مليكة تروي لها قصتها: "في مكتبي الصغير الذي كنا نجلس فيه متقابلتين براحة واطمئنان.... لتخفيف

[1]– مليكة أوفقير ، الغريبة، ص 14.

التوتر"[1] حيث أن ميشيل كانت متفاعلة ومتأثرة عندما كانت مليكة تروي لها حكايتها فقد ترك في نفسية ميشال رغبة واندفاع وقد ولدت لها مشاعر عطف على مليكة، فقد كانت لا تريد لها أن ينقضي ذلك اليوم حتى تسمع حكايتها كاملة.

المشفى:

يعتبر المشفى المكان الذي يقصده المريض بغية العلاج، فهو المكان الذي يذهب إليه كل مريض يتطلع إلى الشفاء والانتقال إلى حال أحسن، ففي هذه الرواية نجد أن نفسية مليكة منهارة وتشعر بالحزن بسبب عقمها وعجزها عن إنجاب طفل فقد كانت تقصد المشفى من أجل الحصول على الدواء، وكان كل أملها معلقا بالمشفى الكبير فهي لم تتقبل فكرة كونها امرأة عاقر لا تنجب أطفالا " كانت تذهب كل صباح تقريبا إلى المشفى في محاولة منها لتحدي الطبيعة بجرعات من الأدوية كانت تنهكها.... والقوة المعنوية لتقتنع بأنها لن ترزق بأطفال"[2].

كما جاء المشفى أيضا في صورة الملجأ المعادي الذي يفقد فيه المريض القدرة على الحركة، وهذا ما نراه في صديقة مليكة « سندس » التي أصيبت بمرض " التراخوما " الذي يصيب العين، فهي كانت ترقد في المشفى بلا حراك، وخضعت إلى العملية الجراحية حيث اعتنت بها مليكة فقد كانت ترقد بجانبها وتتحدث إليها، وهي التي أقنعت مليكة بفكرة التبني،

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 19.

[2]– المصدر نفسه، ص 9.

" أن تخضع في شباط 2005 لعملية جراحية في مشفى باريس، كان الموت قاب قوسين أو أدنى من الحياة، كنت أنام إلى جانبها كل مساء، وكانت تحدثني عن التبني، إنها هي من أقنعتني بهدوء أن من الممكن مواجهة الأمر" [1].

المسرح :

يعتبر المسرح مكانا مخصصا تقوم عليه المسرحيات الدرامية أو التراجيديا، حيث نجد أنّ المسرح في هذه الرواية دورا مهما قد لعب في حياة مليكة، حيث ذهبت إلى المسرح من أجل برنامج تلفزيوني لتحكي قصة حياتها في السجن أمام المشاهدين وأمام أفراد عائلتها الذين كانوا يجلسون في الصف الأول "وقبل التسجيل ببضعة دقائق أجلسنا في الصف الأمامي"[2]، وأيضا كان دخول مليكة إلى المسرح مميزا بأناقتها وجمالها بفستانها الأصفر، حيث أصبح الجمهور يرحب بها ويصفق لها تصفيقا حارا، كذلك استقبلتها أوبرا : مقدمة البرنامج بذراعين مفتوحين وقالت لها " مليكة أنت بطلتي"[3]حيث كان منعرجا هاما، بفضله حصلت مليكة على الشهرة العالمية من خلال رواية حكايتها التي نالت تفاعل وإعجاب الجمهور كثيرا، وأصبحت مليكة بفضله في غاية السعادة بعدما أسمعت صوتها إلى العالم

[1] مليكة أوفقير، الغريبة، ص 37.

[2] المصدر نفسه، ص 30.

[3]– المصدر نفسه، ص 31.

"أنا سعيدة، ومرتاحة للغاية، أنا لا أبالي بالنجاح والمال، أنت تعلمين ذلك، ما يهمني هو أنني حققت أمنية راودتني في السجن" [1]، فقد حققت بذلك حلمها .

صالون بيتنا في الدار البيضاء:

وهو المكان الذي غيّر حياة مليكة ففيه عرفت وسمعت بالانقلاب الذي قام به والدها ضد الملك من خلال جهاز التلفاز "أدرت جهاز التلفاز سمعت صحفيا يذيع أن انقلابا قد وقع، وأن الطائرة الملكية قصفت فوق تطوان"[2]، ثم اتصلت بها أمها وأخبرتها بالانقلاب. ومن ثم عادت إلى الرباط.

رابطة حماية الطفولة:

وهو مكان يمكن تسميته " ميتم " يعيش فيه الأطفال حديثي الولادة الذين فقدوا ولديهم، أو الذين تخلو عنهم أو الأطفال الغير شرعيين، ويعتبر هذا المكان الملجأ لهم، حيث تقدم لهم الرعاية التي يحتجونها والتي حرم منها، فقد ذهبت مليكة رفقة أمها فاطمة أوفقير لتبني طفلا، ولقد اختارت لها أمها طفلا له شعر داكن وجلد متغضن، وقالت " هذا هو، إنه ابنك"[3]، حيث أن مليكة حملته " وأخذت بين ذراعي ذلك الكائن الصغير البالغ أسبوعين من

[1]- مليكة أوفقير، الغريبة، ص 31.

[2] -المصدر نفسه، ص 43.

[3]- المصدر نفسه، ص 35.

عمره.... شعرت في أعماقي بفرح ممزوج بألم وخوف، شعرت في لحظة بتمزق وبأعباء الأمومة" [1] ولقد أخذته مليكة وجعلته إبنا لها وسميته« آدم.»

فيلا مسورة :

ومكان الإقامة الجبرية التي وضعت فيه مليكة وأسرتها بعد هروبهم من السجن حيث رأى الإعلام أثار التعذيب الذي تعرض إليه على أجسامهم، وقد زجوا في المكان الذي يعتبر المكان المفضل لدى الطبقة البرجوازية في الدار البيضاء في طنجا " أعطت لنا فيلا مسورة بجدران عالية في طنجا... وقد استيقظنا مذعورين من أشباح الماضي، أو مرهقين بسعار مفاجئ " [2]، إلا أنه يبقى مكانا أفضل من السجن .

حفل زفاف :

هو زواج صديقا مليكة « مريم وكميل بن جاون » وهو الحفل الذي التقت فيه مليكة لأول مرة بحب حياتها ايريك فقد كان من المعزومين إلى الحفل " حينما رأيت إلى جانبي على المائدة، رجلا أسمر البشرة، طويل القامة، بشوش الوجه، له عينان بلون كستنائي مبهم، فيهما نظرة ماكرة، وحينها أدركت أنه يتكلم العربية"[3] ومن ذلك الحفل تطورت علاقتهما إلا أن تزوجا وأصبحت زوجته .

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 36.

[2] – المصدر نفسه، ص 46.

[3]– المصدر نفسه، ص 52.

السوبر ماركت :

هو المكان الذي أرادت فيه مليكة أن تكتشفه، وتعود الثقة إلى نفسها عن طريقه، ولكي تتعود أيضا على الحياة خارج السجن، وكيف تتعامل مع الناس وتأخذ حقها ولا تخافهم، ولا تترك أي أحد يدس على كرامتها، وأن تحقق الفوز وتخرج الفائزة، وحقها لن يضيع منها "أدركت أنني أدخل الحلبة، لدى المستهلك الكبير (هكذا لقبت المستهلك بالجملة) فكرت أن رئيسيتان في ذهنه : الإنجاز السريع، وعدم السماح بتجاوزه، وليس الإنسان الحر، مع أنه حر في الذهاب إلى حيث يشاء، وكيفما شاء، سوى هاتين الفكرتين في ذهنه" [1]. وبدخولها استغربت واندهشت من كثرة الناس المتواجدين فيه وكيف يتسابقون إلى العربة التي عن طريقها يقضون ويتجولون في السوبر ماركت " في اللحظات الأولى، سحرني مشهد أولئك الناس المنخرطين في سباق حقيقي للعربات دون أن أستطيع الدخول في الدوامة، كانت العربات مشبوكة إلى بعضها، مربوطة بسلسلة لن تنفك إلا بوضع قطعة نقدية في علبة صغيرة"[2] ، وقد كانت مليكة تراقبهم وتقلد ما يفعلون .

لقد تمكنت مليكة من أن ترد على إساءة امرأة ضخمة الجسم أصابتها بالعربة على ساقها، حيث أن مليكة لم تخف منها بل تخطت ذلك الخوف من الناس رغم أن تلك السيدة كانت تنظر إلى مليكة نظرة اشمئزاز كأنها لم تفعل شيء، إلا أن مليكة شتمتها وأخرجت ما

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 72.

[2]– المصدر نفسه، ص 73.

في قلبها بالغة العربية حتى لا يهمها إن كانت تفهم أو لا تفهم ما يهمها أنها دافعت عن حقها " شكوكي ومخاوفي وترددي وحيرتي، أخذت أشتمها وأسبها بالعربية، بشراسة شديدة بحيث شعرت أنني سأطعنها في صدرها.... إلى متجر كبير حتى أشعر أخيرا بالكراهية؟ إلى درجة أن المرأة انتهت إلى التراجع"[1].

الضمان الاجتماعي:

هو جهاز إداري هائل، ذهبت إليه مليكة لتعوض عن كل نفقات أمراضها التي خلفها لها السجن وأصبحت حالتها الصحية سيئة جدا، وقد ساعدها إيريك على تحضير ملفها للانتساب، وقد ذهبت إليه مليكة حيتت فاجأه به فهو لم يكن كما تصورته في مخيلاتها بأنه مكتب صغير "" المكتب الصغير العادي غير موجود، عوض ذلك، توجد غرف زجاجية فردية يستقبل فيها موظف ونبدأ عليهم الإرهاق الناس بين بابين"[2] ، فقد وجدته مكان كبير فيه صالة مفروشة بأرائك زرقاء للانتظار وكل واحد يحمل رقم يعبر عن وصول دوره لقضاء حاجته.

- **الأماكن المفتوحة:**

حيث أن هذه الأماكن تعتبر" مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل الشوارع والأحياء

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 74.

[2] – المصدر نفسه، ص 82.

والمحطات، وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي"[1]. فهي التي تساعد على تنقل الأفراد وتغير الأجواء، حيث وردت في هذه الرواية مجموعة من الأماكن المفتوحة والتي ساعدت على تحديد السمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات وبالتالي "الإمساك بما هو جوهري فيها أي مجموع القيم و الدلالات المتصلة بها"[2] ومنها :

مقهى لوفلور:

هو مكان تلتقي فيه مختلف طبقات الشعب، فقد عرفه **" شاكر النابلسي "** بقوله: " يعتبر علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي و الثقافي، فنلاحظ أن المقاهي انتشرت في أماكن مختلفة من العالم العربي، فكانت فيه مجتمعات هذه المقاهي منفتحة انفتاحا اجتماعيا وثقافيا وفنيا ملحوظا، في ما لو علمنا أن بعض المقاهي، كانت تقوم مقام النادي الأدبي، كما كانت تقوم مقام المسرح، حيث يأتي الرواة ويقصون الحكايات والسير الشعبية والأغاني، ويقدم فيها الفنانون والرواة فنونهم وإبداعاتهم وكلها تمثل مظاهر الانفتاح الاجتماعي والثقافي والفني الذي ساهمت المقاهي في تحقيقه"[3] ، أي أن المكان يحمل في طياته بعدا يدل على التقدم والتطور، حيث أن هذا المكان بالنسبة لمليكة هو عش الذكريات، فقد كانت تأتي إليه وهي صغيرة وتجلس فيه، فقد كانت مليكة فرحة جدا بالذهاب إليه، واسترجاع الذكريات "في

[1]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص40.

[2] –المرجع نفسه، ص79.

[3]– شاكر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، عمان ـ الأردن، ط1، 1994، ص 195.

المرة الأولى التي وجدت فيها ديكور في مقهى لوفلور، فاضت الدموع في عيني، جلست بخجل، طلبت فنجانا من القهوة كما كنت أفعل إبان تلك الأيام الهانئة، وارتشفته برشفات صغيرة، مستلذة بطعم مرارتها، لوقت طويل، بقيت ساكنة، تائهة نهب ذكرياتي"[1].

إذ أن تأثر الزمن علي المقهى كأنه توقف عنده فهو لم يتغير، بقي كما في الماضي بعيد عن مواكبة التحضر والانفتاح حسب نظرة مليكة "كانت حدود الصالة وفية جدا لذكراي، بحيث بدا لي وكأن الزمن قد توقف بمقهى لوفلور، تماما مثلي، وكأنه عاش بإيقاع الأزل دون أن يضحي بطقوس عصر غريب علي" [2].

وعند ذهاب مليكة إلى المغسلة اكتشفت أن المكان تطور ولم يعد كما تركته، فهي وصفة لنا أنه المتعرف أيزر تضغط لكي يهبط الماء وتغسل يديها من الصابون " لاشك أن الأمر يتعلق بصنابر جديدة : تدار نحو اليسار للحصول على الماء الساخن، ونحو اليمين للماء البارد"[3] ولقد كان لحسن حظها أنه دخلت سيدة إلى المغسلة ثم بدأت تقلدها وترى على أيزر تضغط لكي يهبط الماء "أدركت بأنه يكفي أن تمرر الأيدي تحت الصنبور كي يأتي الفرج" [4].

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة ، ص 77.

[2] –المصدر نفسه، ص 78.

[3] – المصدر نفسه، ص 78.

[4] –المصدر نفسه، ص 78.

وسط برج بابل:

جماليات هذا المكان تتمثل في اكتشاف مليكة لأخلاق الشعب المغربي من جود وكرم، فلقد رأت بائعة لخبز السميد على الرصيف، ولسوء حضها كانت داخل السيارة منعها ذلك من النزول والشراء رغم أنه اشتهته كثيرا " لو لم أكن حبيسة تلك السيارة اللعينة، لأسرعت الخطى كي أستسلم لف يضمن تلك الفطائر المغربية اللذيذة، التي بلغتني رائحتها الشهية رغم المسافة ورغم كون زجاج السيارة مغلق والهواء مكيف" [1].

حيث قام شابان بشراء خبز سميد، وقطعا لشارع وأتوا إلى مليكة وقدموا لها الخبز، فقد فهموا تلك النظرة المشتهية و الساخفة على ذلك الخبز وملامح التحسر على وجهها عن عدم قدرتها على شراءه "كنا سنمرض لو أكلناه دون أن نعطيك منه، شرح لي الأخر مبتسما"[2] ومن خلال تلك الحادثة أدركت مليكة أن الشعب المغربي يتميز بالكرم والتواضع كأنهم إخوة ولدوا من بطن أم واحدة، متماسكين ومتعاونون ومتحابين ومتعاطفين فيما بينهم .

عند أسفل المتاريس:

وهو المكان الذي توقفت فيه سيارة مليكة، وهو موقف أمام القصر الملكي الذي كانت تعيش فيه وهي صغيرة، فقد كانت تعود بها الذكريات إلى الزمن الماضي وأصابتها بحالة

[1] – مليكة أوفقير ، الغريبة، ص 146.

[2] – المصدر نفسه، ص 147.

نفسية وشعور بالدوار، خاصة عندما اقترب منها الشرطي لكي يسألها، لماذا توقفت ولا تتحرك فقد كانت خائفة أن تكون قد تعرف عليها " انتابني شعور بالدوار والإنهاك والغثيان، كنت كامرأة حامل حقيقة، ربما من جهة ما، تتفرج نافذة وتكشف عن وجه مألوف...عين ثاقبة قد تتعرف على في الحال من خلف الزجاج الملون لسيارتي ذات الدفع الرباعي"[1].

فقد عاد الزمن إلى الوراء عند مليكة، حيث استعادت ذكرياتها في القصر وكيف عاشت طفولتها فيه، فلقد شعرت بالحزن والفرح في آنٍ واحد، وهي تسترجع شريط الذكريات في مخيلاتها " اختلطت الذكريات من حولي، تارة سعيدة وعذبة، وتارة فظة حارقة، انبعثت الحياة في الجدران وشرعت تروي حكايتي، وأنا الصغيرة المنكمشة على نفسي في سيارتي، رأيت كل دقيقة كأنها الأزل"[2].

III. الفضاء الدلالي:

-حاز الفضاء الدلالي في الرواية نصيبه هو الآخر باعتباره تلك الصورة التي تترسخ لاحقا في قارئ الرواية، إضافة إلى الغرض الذي يهدف إليه الراوي من خلال طريقة سرد للأحداث واختيار الشخصيات والأمكنة.

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة ، ص 149.

[2]- المصدر نفسه، ص 149.

- وفي رواية "الغريبة" يتضح هذا النوع من الفضاءات من خلال الأحداث التي تقوم الروائية " **ميشيل فيتوسي** " بسردها بناءً على شهادة حية لمليكة أوفقير السجينة التي زُجّ بها في السجن ظُلمًا وعائلتها لعدة سنوات.

- يتناول الجزء الأول من الرواية جانب من حياة "مليكة " قبل السجن كيف عاشت أميرة في قصر الملك محمد الخامس، الحياة التي لم تدم طويلا، حيث راحت عائلة أوفقير ضحية خيانة الأب محمد أوفقير الملك الذي أخذ طفلة في الخامسة من والديها"[1]، لتظهر جانبًا من الحياة الاجتماعية والسياسية في المغرب حيث يرضخ الشعب لسلطة الملك "ولكن كان من المستحيل لوالديَّ أن يرفضا طلبًا كان يصدر عن الملك يقبل الناس يديه راكعين"[2].

- اختارت **مليكة** عنوان " الغريبة" وفي ترجمات أخرى " السجينة" لتعبر عن السنوات التي قضتها سجينة ظلمًا حيث كانت البراغيث تنهش سيقانها حتى تسيل دما والفئران كانت تنهش القليل من الطعام الذي كان يتوفر لهم وعن الحياة التي تعيشها لاحقًا بعد الحرية، ولكن أي حرية تلك إنها حرية ممزوجة بالخوف من الآخرين، وبالذعر والانبهار من أبسط الأشياء، كثيرا ما ذكرت موافق تجد نفسها خائفة ولم ترك شيئًا " فالزي العسكري يصيبني بالتكرر، إنه يرمز إلى القانون والسلطة والقوة الوحشية، إنه

[1]- مليكة أوفقير، الغريبة، ص 41.

[2]- المصدر نفسه، ص66.

يرمز إلى السجن "[1] وتقول: " أتخيل نفسي جامدة وسط شارع، مصدومة بالخوف "[2] لتختصر خوفها بـ " أنا التي أخاف من كل الناس ومن كل شيء "[3] ، ذلك الخوف الذي كان يصاحبه الدهشة ففي كل مرة لتكتشف العالم من جديد.

- هناك من صنف رواية " الغريبة" بمثابة سيرة ذاتية للمغربية **مليكة أوفقير** كتبتها الكاتبة **ميشيل فيتوسي** بعد اتصال مباشر بها، وترجمت إلى عدة لغات في العالم وكان لها صدى عالمي خاص وأنها كتبت في مرحلة حساسة فقد احتجزت مليكة لمدة ستة أشهر اشتبه بأنها تريد كتابة شهادتها مخافة فضح اللا إنسانية التي عامل بها الملك عائلة أوفقير البريئة نتيجة ما قام به والدهم، لكن الأمر خرج عن السيطرة حيث اتخذت الكاتبة احتياطاتها خلال الكتابة حيث كانت تعقد جلسات في بيتها لتروي لها مليكة كل ما عاشته ولازالت تعيشه.

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص66.

[2]– المصدر نفسه، ص67.

[3]– المصدر نفسه، ص87.

الفصل الثاني: علاقة التقنيات السردية بالفضاء

1. تعريف الشخصية.
2. علاقة الشخصيات بالفضاء.
3. أبعاد الشخصية.
4. علاقة الزمن بالفضاء.

تمهيد:

اعتمدت رواية " الغريبة" لمليكة أوفقير على تقنية الربط بين الزمن والفضاء من جهة، وبين الشخصيات والفضاء من جهة أخرى، باعتبارها عناصر سردية مرتبطة أشد الارتباط مما يشكل علاقة تكامل وترابط، وبالتالي سنحاول فيما يلي التطرق إلى العلاقة بين هذه العناصر.

1. تعريف الشخصية:

تعتبر الشخصية الركيزة الأساس في العمل الروائي، وهي الأداة التي تساعد في بناء الأحداث وتلعب دورا مهما وفعّالا في تطورها، فالشخصيات هي " كل مشارك في أحداث الرواية سلبيا أوإيجابيا، أمّا من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يكون جزءا من الوصف، فهي عنصر مصنوع، ككل عناصر الحكاية فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها"[1]، ففاعلية العنصر ودوره في تحريك الحدث الروائي هوما يجعل منه شخصية كاملة الأركان، لا مجرد شيء موصوف.

[1]- لطيف زيتوني، معجم المصطلحات (نقد الرواية) ، منشورات دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط9، 2000، ص 113-114.

وقد نبّه النقاد إلى أهمية الشخصية، فقالوا هي" القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وهي عموده الفقري الذي ترتكز عليه"[1]؛ أي لا يمكن أن يقوم العمل السردي بدون شخصيات، فهي ضرورية في العمل الروائي .

2. علاقة الشخصيات بالفضاء:

- **القصر :**

تعلق هذا الفضاء بالملك محمد الخامس حيث كان هو الحاكم أثناء تلك الفترة، ثم خلفه بعد موته الحسن الثاني، وقد ارتبط القصر بطفولة مليكة الشخصية الرئيسية في الرواية ابنة الجنرال محمد أوفقير، تبناها الملك محمد الخامس وهي ذات الخمس سنوات، لتكون رفقة ابنته " اللامينة " حيث قضت مليكة إحدى عشرا عاما في القصر الملكي بعيدة عن أهلها، وعاشت حياة الأميرات ، إلاّ أن ذلك لم يدم طويلا، فقد تغيرت حياتها بعد أن قام والدها بحركة انقلابية ضد الملك، وهذا ما دفع به إلاّ تخاء إجراء زجهم في السجن ، لتجد نفسها في زنزانة مع باقي إخوتها، وانتهى بهم الأمر إلى الفرار هي وعائلتها، وتمّ الإمساك بهم، فوضعوا تحت الإقامة الجبرية لمدة خمس سنوات لتسافر إلى باريس ثم ميامي .

كانت مليكة الأكثر تضررا من بين إخوتها "فالقدر الفريد لمليكة يرفعها، رغما عنها إلى مصاف بطلة لتراجيديا قديمة، المؤامرة، الخيانة، الموت العنيف، الانتقام، القسوة : هذه

[1] – جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع11، جوان 2000، ص195.

الأحداث الطارئة التي تبدو وكأنها من زمن آخر صاغت صيرورة حياتها[1]"، لقد أثر في هذه الشخصية فضاءين مهمين، الأول القصر عاشت فيه طفولة هادئة مستقرة، وحياة الرفاهية والمدح .

والثاني فضاء السجن، عاشت فيه الجهيم والمعاناة، وعلى ما يبدو أن فضاء السجن هو الأقوى تأثيرا عليها، فعواقبه لازالت تلاحقها على مدى حياتها اللاحقة.

- **السجن :**

يتعرض الإنسان في حياته إلى مختلف التجارب، خاصة اذا تعلق الأمر بالقمع و القهر و التعذيب، و الذي يتجلى في أبشع الصورة له، وهو السجن " فهو مكان لاعتقال الأسرى أو المحكوم عليهم، بالموت، ثم أصبح مكانا للتخلص من بعض المغضوب عليهم أو الواقفين في طريق ذوي السلطان"[2]، و أيضا لقد كان هو الفضاء المشترك الذي جمع أفراد عائلة أوفقير، الأم فاطمة التي هي زوجة محمد أوفقير، ووالدة مليكة قضت سنوات السجن ظلما مع ابنها عبد اللطيف الذي كان صاحب ثلاث سنوات فقط، وقد كانت امرأة صامدة وصبورة حتى بعد موت خروجها من السجن " صارعت والدتي، بصير لا حدود له(السجن مدرسة جيدة للصبر) لتؤمن لنا حقا في العيش قدر المستطاع مرفوعي الرأس"[3]، وأبنائها الآخرين :

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 16.

[2] _ سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث و المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص 34-35.

[3] – مليكة أوفقير، الغريبة ، ص 239.

مريم، عبد الرؤوف، ماريا، سكينة، عبد اللطيف، وحتى مربيتهم عاشورا شنا تضامنت معهم وشاركتهم سجنهم، بالإضافة إلى مربية عبد اللطيف حليمة عبودي .

- **حفل زفاف :**

كان حفل زفاف مريم وكميل بن جلوت السبب في التقاء مليكة بإريك، أو إريك الشرقي كما سميته مليكة، ينحدر من عائلة بروتستانتية عريقة متجذرة في " نيم و اربيج " إلا أنه عاش حياته في لبنان، لقد رسم إريك صورة الرجل الصبور والوفي الذي وقف إلى جانب مليكة طوال حياتها بعد السجن " سيعينني ايريك على إعادة لملمة تخوم الحياة، تلمسا، ويشجعني على الخروج من الخفاء...، سيحثني علي أن أتكلم الى العالم، وأروي الرعب الذي عاشته عائلة لعشرين عاما "[1].

لقد كانت مليكة تكن لإريك حبا كبيرا، إلا أن القدر لم يشأ أن يثمر ذلك الحب بالذرية، فقد حرمت أن تمنح له طفلا، وقد كانت تلقي اللوم على نفسها " أنا الآثمة بعدم منحك طفلا"[2]، لكنها في الأخير توصلت إلى اتخاذ قرار لكي تتبن الصبي " آدم".

باختصار فقد كان إيريك تلك الحياة الجديدة التي عاشتها مليكة بعد السجن، كان يحوي خوفها وغضبها، كان يعيشان معا كل لحظة كبداية جديدة لاكتشاف العالم والأشياء.

[1]- مليكة أوفقير، الغريبة، ص 54.

[2]- المصدر نفسه، ص 54.

كان لإريك أخت شقراء مثله تدعى " ماريون " وجدة تسمى " بولو" وهي سيدة مدهشة وذكية، أما والده " بيير بورد روي " فقد كان باحث ذو مطهر وديع وجذاب مثل الأستاذ نيمبوس، بلحيته وشعره الأبيض الثلجي" [1].

في حين كانت فرانسواز والدة إيريك مديرة لثانوية بيروت البروتستانتية، حيث فتحت مدرستها أمام فلسطين أثناء الحرب في لبنان، وهي امرأة قوية ومسؤولة على حد قول مليكة .

لم تذكر مليكة المناسبة التي التقت فيها لأفراد عائلة زوجها، ولا كيف كانوا يتعاملون معها، ولم تذكر أي شيء آخر عنهم، ربما لم يكن هناك احتكاك بينهم، أم أنها ركزت فقط على ما يجمعها مع زوجها إريك.

- **حفل الاستقبال :**

كانت شخصية ثريا تحضر حفل استقبال في بيتها، ودعت أصدقاءها، وكان من بينهم مليكة وميشيل فيتوسي (الكاتبة)، حيث جمع هذا الفضاء الواسع المليء بين هاتين الشخصيتين "جلست واحدة منهن برزانة، وصمت، إلى حافلة حلبة الرقص...، لاشك أنها كانت تود الاختلاط بالآخرين لكن شيئا ما كان يمنعها من فعل ذلك، شعرت بها مغتمة كئيبة، أثارت اهتمامي وفضولي ولم أكف عن التفرس فيها" [2] هكذا كانت اللحظة التي التقت

[1] – مليكة أوفقير، الغريبة، ص 26.

[2] _ المصدر نفسه، ص 11.

فيها مليكة وميشيل، لتظهر شخصية أخرى يكون لها دور فعال في هذا التعارف، وهي سوز الحسناء الطويلة السمراء المنتفعة، كما وصفتها ميشيل وهي محامية إيرانية تربطها بها صداقة.

- **منزل ميشيل (المكتب) :**

تعتبر ميشيل شخصية مؤثرة جدا في حياة مليكة، هي من كتبت رواية "الغريبة" بناء على شهادتها الحية، صحفية ملتزمة وروائية، أم لطفلين، كانت تقعد مع مليكة جلسات في بيتها وكلها صبر " أساعدها بصبر وأناة في استعادة وجهتها" [1] وكذلك " ... ولا أضجر عندما أنكبّ على الكتابة، 40 أسطوانة، 1500 صفحة من المخطوطات" [2].

رغم أن ميشيل عاشت حياة مستقرة، درست، تخرجت، تزوجت، وأصبحت أم كما قالت "أنا سيدة مصيري، أما مليكة فليست كذلك...، ومع ذلك نحن قريبتان من بعضنا"[3]، فإن ذلك لم يمنعها أن تحس بما عاشته مليكة فقد وضعتها في مكانة كل واحدة من عائلة أوفقير، فتارة ميشيل تصبح مليكة، وتارة مريم، أحيانا عيد الرؤوف، ماريا، سكينة، وأحيانا عبد اللطيف الذي دخل الزنزانة وهو ذو ثلاث سنوات.

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 22.

[2] _المصدر نفسه، ص 22.

[3]– المصدر نفسه، ص 20.

- **دار النشر :**

كان (جان كلود فاسكل) المعلم الكبير لدار النشر " الغربية" ، أقنع مليكة بضرورة كتابة شهادتها، وقد تأثر كثيرا بقصتها فلم يبالي بمهمة النشر التي هي مهمته بقدر ما كان قلقا على حياة مليكة خاصة، وأنها شرعت في الكتابة في مرحلة حساسة " كان الحسن الثاني لا يزال حياً"[1] .

- **فضاء المغرب :**

يعتبر محمد أوفقير شخصية مهمة في الرواية، إذ يمكن اعتباره المحرك الأساسي للأحداث، فقد سجنت عائلته بسبب الانقلاب الذي قام به ضد الملك، حيث كان وزيرا للدفاع، قائد أركان القوات الجوية الملكية " كان يتوفر على كل شيء، امرأة فاتنة، ستة أطفال، منصب في قمة الدولة، هيبة جندي بوجه منسوب كنصل"[2] ، إلا أنه سيفقد كل شيء، فقد انتهت حياته بالإعدام بخمس رصاصات في صدره، وليس هذا فحسب فقد دفعت عائلته فيما بعد ثمن فعلته.

- **فضاء الولايات المتحدة (ميامي) :**

أوبرا وينفراي : كان لها تأثير كبير على مليكة، حيث كانت أوبرا تقدم برنامج تلفزيوني مهم في الولايات المتحدة، تتمتع بالشهرة من خلال الحكايات التي تعرضها في برنامجها. لقد

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 17.

[2]– المصدر نفسه، ص 42.

استضافت مليكة وعرضت كتابها الذي ترجم في الولايات المتحدة بعنوان " حيوات مسروقة " مما جعل قصتها وقصة عائلتها تجوب كل أنحاء العالم .

3. أبعاد الشخصية في الرواية :

تعتبر الشخصية عنصر هام في العمل السردي فهي تجمع كل شيء شارك في أحداث الرواية، بالتالي يتم دراسة الشخصية من خلال الأبعاد التالية: البعد الجسمي، البعد الاجتماعي، والبعد النفسي:

البعد الخارجي(الجسمي):

و هو البعد الفيزيولوجي يقوم بوصف الشكل الخارجي للشخصية " فهو يشمل المظهر العام للشخصية، و ملامحها و طولها و عمرها و وسامتها و دمامة شكلها و قوتها الجسمانية و ضعفها"[1]، حيث يلجأ السارد للتصوير الحسي المادي للشخصية، و له دور نقدي فعال حيث يعجل على خلق الاختلاف بين الشخصيات، و يحاول أن يضع لمسته الابداعية في إعطاء لكل شخصية صورة خاصة بها، وهذا ما نجده في هاته الرواية "الغريبة " في ما يلي :

[1]– عبد الكريم الجبوري، الإبداع في الكتابة و الرواية، دار الطبعة الجديدة، دمشق، ط1، 2003، ص 88.

" حينما رأيت إلى جانبي على المائدة رجلاً أسمر البشرة طويل القامة بشوش الوجه، له عينان بلون كستنائي مبهم فيهما نظرة ماكرة... "[1]، اعتمدت هذه اللوحة الفنية على تقديم وصف حسي ظاهري لشخصية " ايريك " لتدفع القارئ لرسم صورة تخيلية و تجسيدها واقعيا و تجاوز فضاءها الفني .

البعد النفسي:

أي الجانب السيكولوجي للشخصية، يصور السارد فيه الحالة النفسية فهو " الحكي الذي يقوم به السارد لحركات الحياة الداخلية، التي لا تعبر عنها الشخصية بالضرورة بواسطة الكلام انه يكشف عما تشعر به الشخصية بالضرورة بواسطة الكلام انه يكشف عما تشعر به الشخصية دون أن تقوله بوضوح، أو عما تخفيه هي نفسها"[2].

هذا ما نلمسه في قول ميشيل و هي التي أحست بما تشعر به مليكة دون أن تراها " سمعت صوتها يرتعش، أحسست أنها على وشك أن تذرف الدموع، وشعرت بدموعي تنمو في مكاني، صاد الصمت بيننا للحظات، ولم ينقطع الخط بين مراكش و باريس، و لكن جرى فيه الكثير من الانفعال"[3].

البعد الاجتماعي:

[1] – مليكة أوفقير، الغريبة، ص 52.

[2] _ جيرار جنيت، نظرية السرد (من وجهة النظر و التبئير)، تر : ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي، ط1، 1989، ص 108.

[3] _ مليكة أوفقير، الغريبة، ص 9.

ويظهر هذا البعد لشخصية من خلال علاقتها بالشخصيات الأخرى مثل شخصية مليكة و علاقتها بمختلف الشخصيات، كما يشمل على تصوير المكانة الاجتماعية " حيث تتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية الاجتماعية وأيديولوجيتها و علاقتها الاجتماعية (المهنة، طبقتها الاجتماعية، عامل الطبقة المتوسطة، البرجوازية إقطاعي، وضعها الاجتماعي : فقير، غني، أيديولوجيتها، رأسمالي، أصولي، سلطة) "[1]، حيث يعمل على إلقاء الضوء على الشخصية و ثقافتها و إنتمائها و رغباتها و اهتمامها، وهذا ما نجده في القول التالي : " لقد ورث اريك التسامح من عائلة بروتستانتية عريقة متجذّرة في " نيم و اربيج " والداه شخصان غير عاديين، والده بيير بورد روي، عالم آثار، باحث في المركز القومي للبحوث، لقّبته بالجيولوجي الذي يعثر على كل شيء، إنّه رجل مسكون بعاطفته أحيانًا إلى حدّ غير واقعي، مع أن ايريك قد ولدّ في ستراسبورغ، فإنّه كان في الثالثة من عمره حينما وصلت عائلته إلى القدس الشرقية في زيارة دراسية ثم كبر في لبنان حيث كانت حماتي فرانسواز مديرة لثانوية بيروت البروتستانتية، يا لها من امرأة جعلت منها شجاعتها و استقامتها المعنوية، امرأة تتحمّل مسؤولية دور متميّز أثناء الحرب في لبنان، و تواجه مختلف الأطراف المتقاتلة، مسيحية و إسلامية، بل وفتحت مدرستها أمام الفلسطينيين... "[2]

[1]– محمد بوعزة ، تحليل النص السردي (تقنيات و مفاهيم ، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم و النشر، الرباط ، الجزائر، بيروت، ط1،2010. ص 40.

[2]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 53.

قدمت مليكة صورة عن عائلة زوجها اريك التي تحظى بمكانة مرموقة في المجتمع، والده متعلمين شقيقين، الأب عالم آثار، و الأم مديرة ثانوية .

و في مثال آخر نجد القول التالي " كما تعرفت إلى والد ايريك بيير بورد روي، وهو باحث ذو مظهر وديع و جذاب مثل الأستاذ نيمبوس، بلحيته الأبيض الثلجي، و أخته ماريون شقيقية ايريك الشقراء، و بولو جدته، وهي سيدّة مدهشة ذكية و حيوية... "[1].

حيث نجد وصف جسماني لوالد ايريك، أخته و جدته، ولو أن الوصف غير دقيق لكنه يعتمد على الصفات الحسية التي تظهر للعيان من الوهلة الأولى، وبالتالي يمكن اعتبار الوصف الحسي للسارد و عملية التجسد و التخيل لدى القارئ عمليتان متكاملتين، تتشكل الصورة الواقعية الحسية بناءً على الوصف الفني .

وإضافة إلى ما سبق قد يمنح الروائي اسم الشخصية " يمنحها اسمًا وصفيا و يحدد جنسها إما مفردًا (سيدات، نساء، أطفال، شبل، وهذا الاسم الوصفي عمري أو بإضافة مركب (رجل، أبيض، مرأة رشيقة...)، أو يحدد مكان الشخصية مثل (فتاة الزورق، فتاة الشام) أو مهنتها (كاتبة، روائية)"[2].

[1] _ مليكة أوفقير، الغريبة، ص 54.

[2] _ أحمد مرشد، البنية و الدلالية في رواية إبراهيم نصر الله، دار فارس، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 57.

وهذا ما نجده في الوصف التالي : أنطونيو إيطالي، جميل مثل أبولون أشقر، شعره مجعد و ناعم الملمس، له لحية قصيرة على قدر كبير من الفتنة و الجمال، إنه ممثل كوميدي"[1] ، وهذا ما أعطى وضوحًا أكثر للشخصية .

4. علاقة الزمن بالفضاء:

- **مفهوم الزمن:**

يعتبر الزمن عنصرًا مهمًّا في التشكيل السردي " فمن المتعذّر أن نعثر على سرد خالٍ من الزمن، وإذا جاز لنا افترضا أن نفكر في زمن خالٍ من السرد، فلا يمكن أن نلغي الزمن من السرد، فالزمن هو الذي يوجد في السرد، وليس السرد هو الذي يوجد في الزمن"[2]، ويمكن اعتبار ذلك " الموجود المعنوي الذي يدرك بالموجودات الحسية، فتغير المحسوسات يوحي بتقدم الزمن، ولولا لتغير لما أدركنا الزمن"[3].

ونفهم من هذا أنّ الزمن مرتبط بالحركة (أحداث وتغير في الشخصيات) والأصل في الترتيب الزمني ماضي، حاضر، مستقبل " أن ينهض امتداده على الطويلة المألوفة، بحيث ينطلق من الماضي الى الحاضر الى المستقبل[4] "، وهذا إذا لم يتعرض الزمن إلى ما يسمى بالتشوهات الزمنية، حيث يظهر فيه هذا الترتيب، وهذا ما يلخص قول حسن بحراوي أن "

---

[1] _ مليكة أوفقير، الغريبة، ص 181.

[2] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، ص 117.

[3]– يوسف بن حسن حجازي، عناصر الرواية، (د ن)، (د ط)، 2010، ص 7.

[4] _ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 190.

الزمن يشمل أيضا تقلب الأحداث وتشويش بنائها وبذلك بتقديم ما يجب أن يؤجر، وتأخير ما يجب أن يقدم" [1] .

وممّا لا شك فيه أن كل حدث له علاقة بمكان وقوعه، وهذا ما يوضح لنا العلاقة بين الزمن والفضاء، وباعتبار أنّهما متلازمان، نحاول أن نستنبط تلك العلاقة بين كل فترة زمنية، والأحداث الواقعة فيها.

- **المفارقات الزمنية:**

إن الاختلاف والتناقض بين النظام لبذي يفترض أن يكون عليه زمن الحكي ونظام ورودها في الخطاب هو ما يسمى بالمفارقة الزمنية " والمفارقة الزمنية في علاقتها بلحظة الحاضر، هي اللحظة التي يتم فيها اعتراض السرد التتابعي الزمني (الكرونولوجي) لسلسلة من الأحداث لإتاحة الفرصة لتقديم الأحداث السابقة عليها، ويمكن للمفارقة الزمنية أن تكون استرجاعًا، أو استباقًا"[2]. في حين "يرى حميد لحميداني أنه عندما لا يتطابق نظام السرد مع نظام القصة فإننا نقول أنّ الراوي يورد مفارقات سردية"[3]، فتلك الخلخلة التي تحدث داخل العمل الروائي تُعطي تصورا جماليا ووظيفيا دون التأثير في الأحداث.

[1] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 192.

[2] – جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003، ص15.

[3] - صادق خشاب، البنية الزمنية في رواية قبل البدء حتى للروائي محمد بورحلة، مقالات الدولي عبد الحميد بن هدوقة للرواية الـ15، http://www.benhedouga.com/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D8D9%8

1. الاستباق :

يأتي الاستباق على عكس الاسترجاع تماما، فالراوي يعود بنا نحو الاحداث الماضية في طريق الاسترجاع، فان الاستباق ينطلق نحو المستقبل، لسرد لنا حدث قبل و قوعه، حيث يقول في هذا الصدد ؛ **حسن بحراوي** ، " هو بمثابة تمهيد أو توطئة للأحداث لاحقة يجري الأعداد لسردها طرف الراوي، فتكون غايتها في هذه الحالة هي حمل القارئ على توقع حادث ما، أو التكهن لمستقبل إحدى الشخصيات، كما أنها قد تأتي على شكل إعلان (Annonce) عما ستؤول إليه مصادر الشخصيات" [1]، إذن يعتبر إحدى الوسائل التي تساعد في وظيفة النسق الزمني للرواية ككل.

حيث نجد في رواية الغريبة أن مليكة قد استعملت الاستباق قبل وقوعه و ذلك من خلال قولها : " ميشيل، هناك خبر عظيم، لقد تبنينا صبيا صغير، يدعى أدم، عمره أربعة أشهر "[2]، فهي استبقت الزمن قبل وقوعه، و هي لم تقم بعملية التبني بعد .

2. الاسترجاع :

يقوم النص في الرواية بعلاقة حاصة تربطها بالاسترجاع وهي قيم جمالية لنص الروائي، فهو " مفارقة زمنية تعيدنا الى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة، و اللحظة التي

[1] _ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 132.

[2] _ مليكة أوفقير، الغريبة، ص 8.

يتوقف فيها القص الزمني لمساق من الأحداث ليدع النطاق لعملية الاسترجاع"[1]، هذا يعني أن الاسترجاع ذا أهمية كبيرة كونه عملية تتمحور حول تجربة الذات الحية .

حيث في هذه الدراسة انطلقنا من تقنية الاسترجاع و الرجوع الى الذكريات يعد أمرا طبيعيا في الرواية، و هو استرجاع أحداث ماضية التي سبق حدوثها في لحظة السارد، حيث نجد أن رواية " الغريبة " **لمليكة أوفقير** حفلت بتقنية الاسترجاع و الرجوع الى الماضي و هذا من خلال :

" طيلة عشرون عاما، لم أعرف البيض الا بهذا الشكل، كدت أن أنسى أنه كان فاتح اللون... أخي الشاب الذي كبر في السجن، لم يرى أبدا قبل اطلاق سراحه اللون الحقيقي للبيضة "[2]، فقد ربطت هنا مليكة الاسترجاع بالزمن المتضمن لذكريات والمشاعر والأحاسيس الماضية التي قضتها في السجن .

" ولكوني مكلفة بإعداد الوليمة التي كانت تزين كل خمسة عشرا , ومائدتنا المشتركة، كنت أكسر ليلا قشور البيض المخضرّة لأدع السائل الأسود ينزل في قصعة"[3]، وهذا الاسترجاع يمثل حياة مليكة فقد كانت تعيش عيشة حتي الحيوانات لا تعشها .

- **زمن ما قبل السجن :**

[1] _ جيرالد برنس، المصطلح السردي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003، ص 25.

[2] – مليكة أوفقير، الغريبة، ص 114.

[3] _ المصدر نفسه، ص 114_115.

تعتبر الفترة التي عاشتها مليكة قبل دخولها إلى السجن، التي قضتها بين القصر و منزلها .

- **زمن القصر :**

لقد كان القصر من الفضاءات التي جرى استحضارها في الزمن الماضي، حيث قام الملك محمد الخامس بتبني مليكة وهي في الخامسة من عمرها لتكون إلى جانب ابنته الصغرى **اللاّمينة** في القصر، والتي كانت تصغرها بسنة، " وستعيش مليكة أحد عشر عاما بعيدة عن أسرتها، بين الفيلا حيث تعتني مربية ألزاسية بالفتاتين الصغيرتين بقبضة حديدية، والقصر حيث يرعاهما العاهل الجديد بلطف مع عطف وصرامة أبويين"[1]، أما زمن الحاضر فيمثّل الفترة التي تم فيها الزجّ بها في السجن بعد الانقلاب الذي حصل للملك، لأنّ رواية الغريبة مبنية على زمنين: زمن السجن، وزمن ما بعد السجن (الحرية).

- **زمن البيت :**

لقد كان البيت فضاءً للراحة النفسية والجسمية، إذ يبيّن **غاستون باشلار** أنه " واحد من العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الانسانية، ومبدأ هذا الدمج وأساسه هو أحلام اليقظة، ويجمع الماضي والحاضر والمستقبل"[2].

[1] – مليكة أوفقير، الغريبة، ص15.

[2] – غاستون باشلار، جماليات المكان، تر : غالب هالسا، المؤسسة الجامعية بيروت، ط 1، 1984، ص 38.

ورغم ما كانت تعيشه مليكة من دلال ورفاهية حيث تتصرف كالأميرات، لم يكن لشوق إلى عائلتها يفارقها أبدا، وهي في السادسة عشرة من عمرها توسلت إلى الملك لكي يدعها تعود إلى أهلها وتعيش عندهم وتتذوق الجو الأسري الذي حرمت منه، " فوافق الملك، ستتذوق الفتاة الشابة لأول مرة، ولمدة عامين فقط، عذوبة العيش في كنف عائلة حقيقية"[1]، فقد سمح لها الملك بالمكوث في بيت أهلها مدة عامين فحسب، لتعيش في كنف عائلتها الحقيقية مع إخوتها الذين اشتاقت إليهم أشد الاشتياق في البيت العائلي، فقد ربطته بزمن الحياة في القصر، زمن كان الشوق الى عائلتها كبيرا، لتتكون بذلك علاقة الفضاء (البيت) بالزمن، لأن مليكة كانت تشتاق الى زمن الماضي في بيتها، بينما كان القصر يمثل لها الحاضر دون الماضي الجميل.

- **زمن ما بعد السجن (الحياة في فرنسا) :**
- **زمن حفل زفاف:**

إنّ هذا الزمن هو زمن الحب والعواطف، هو الفضاء المكاني الذي جمع بين إيريك ومليكة، ويمكن أن نسميه فضاء الطمأنينة والراحة والهدوء، حيث ظهر إيريك في تلك الفترة الصعبة التي كانت تعيشها مليكة، "شعرت بالمزيد من الأمان والمشاركة العاطفيين، كدفء كان يشيع في هدوء"[2]، وكانت تقول عنه: " كان إلى جانبي كل يوم جمعة، وحينما

[1] _ مليكة أوفقير، الغريبة، ص 15.

[2]– المصدر نفسه، ص 52.

كان يغادر، كان شعور مرعب بالإهمال ينهكني ويضنيني، كان له الجلد في أن يسايرني في أهوائي ونوبات هذياني [1]".

- **زمن حفل الصغير:**

وهو زمن العشق والحب، وكان تعلق هذا الفضاء المكاني بيوم 10 تشرين الأول 1998، وهو زواج إيريك بمليكة في حفل صغير أمام بعض الأصدقاء، حيث مر كل شيء بسرعة وعجلة "في دار بلدية الدائرة الثالثة عشر في باريس، شعرت بالانتفاض بعض الشيء، زواج في عجلة، شاهدان، والحيلة كانت قد وقعت" [2]. فالزمن هنا جاء مناسبا مع طبيعة المكان الذي ختم بزواج .

- **زمن المشفى :**

رغم زواج مليكة إلا أنها كانت حزينة ولم تستطع التأقلم والخروج من الحالة النفسية المحزنة التي كانت تراودها عندما كانت في السجن، فآثار الأسر المريعة قد أثرت عليها وسببت لها كثيرا من الأوجاع والآلام، بالإضافة إلى كونها امرأة عاقر، لم يكن باستطاعتها أن تمنح إيريك ثمرة حبهما (الطفل)، حيث "كانت تذهب كل صباح تقريبا إلى المشفى في محاولة منها لتحدي الطبيعة بجرعات من الأدوية كانت تنهكها...، والقوة المعنوية لتقتنع

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 53.

[2] – المصدر نفسه، ص 54.

بأنها لن ترزق بأطفال[1]"، فقد كانت مليكة تسعى و تتمنى أن ترزق بالطفل يغير حياتها، وينسيها مرارة الزمن الماضي (السجن) .

- **زمن السوبر ماركات :**

كان السوبر ماركات زمن الحاضر بالنسبة الى مليكة، فهو زمن استرجاع الكرامة والحقوق، وزمن الدفاع عن النفس وكيفية التعامل مع الناس، فهي رغم خروجها من السجن وتزوجها، إلاّ أن خوفها من الناس مازال يراودها كأن الزمن لم يداو جراحها، فهي تحاول أن تتخلص من الماضي لتعود امرأة عادية تمارس وتعيش حياتها بشكل طبيعي، وكانت تردد قائلة: "ولكن عليّ أن أتغلب على مخاوفي وأن أتعلم العيش مع الآخرين"[2].

فقد كان المتجر الكبير (السوبر ماركات) فرصة كبيرة في حياتها لتحاول التأقلم مع الناس ومحاورتهم، والتغلب على خوفها، والاعتماد على نفسها واسترجاع حقها دون أن يدوس أحد على كرامتها، فقد رأت كيف تغير الزمن وأصبح الناس يتسابقون ويتلهفون لشراء المواد الغذائية عن طريق وضعها على العربة عند التجول داخل السوبر ماركت، "في اللحظات الأولى، سحرني مشهد أولئك الناس المنخرطين في سباق حقيقي للعربات، دون أن

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 9.

[2]– المصدر نفسه، ص 63.

أستطيع الدخول في دوامة"[1]. فالزمن الماضي الذي كانت مليكة تعيشه في السجن حرمها من مواكبة التطور والتقدم .

- **زمن مقهى لوفلور :**

يعد المقهى من الفضاءات التي نجدها في رواية " الغريبة " فهي حاضرة في كل الأزمنة في الماضي والحاضر بالنسبة الى مليكة، فهي ذهبت إلى « مقهى لوفلور»، وهذا المكان بالنسبة إليها هو زمن الذكريات التي عاشتها في الماضي(زمن ما قبل السجن)، وما سوف تعيشه في الحاضر والمستقبل، فهي تسرد لنا كيف كان أثر الزمن هنا على المقهى، وكذلك تعبر عن حالة التغير التي مست المقهى وكيف أصبح الآن(زمن ما بعد السجن)، وربطت الأحداث التي عاشتها فيه في الماضي "عدت من جديد إلى مقهى لوفلور، عش الذكريات، حيث أستعيد كما ليس في أي مكان آخر"[2]. يمكن القول أن مقهى لوفلور يعتبر جزءًا من حياة مليكة .

- **زمن المطبخ الكبير :**

المطبخ الكبير يمكن أن نسميه زمن الحرمان (الماضي) وزمن الرفاهية (الحاضر)، فقد قامت مليكة باسترجاع ذكرياتها طيلة عشرين عاما، التي قضتها في السجن محرومة من

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 74.

[2]– المصدر نفسه، ص 77.

الأكل الذي كانت تأكله فقط لتبقى حية، فهو طعام لا يؤكل، وتقارنه بما يقدم في المطعم من طعام وأطباق شهية، حتى أنهم لا يأكلون منها غير القليل ثم يرمونه.

" في سجننا كانت الفئران والجرذان تأكل حينما تجوع، ولكن ليس نحن، لقد اعتدنا بالقوة، وما عدنا نأكل لنتسلى، أو لنتبادل الرؤى حول العالم"[1]، فقد عاشت مليكة حياة حزينة وكئيبة مملوءة بالمآسي، حيث كانت هي وإخوتها، يتناولون اثنتا عشرة بيضة فاسدة تجاوزت رسميا تاريخ صلاحيتها، أما في المطعم فكل شيء متواجد، اطلب فقط ويحضر إليك، فالزمن تغير حقًّا بالنسبة إلى مليكة، فهي عندما تسرد للقارئ كيف كانت تعيش داخل السجن في الماضي، والمعاناة التي مرت بها، وكيف صارت تعيش في الحاضر يبدو أمرا غير قابل للتصديق، كيف لإنسان أن يعيش في تلك الحالة ويتناول الطعام الفاسد؟ فقد وقعت جريمة بشعة في حق مليكة وعائلتها واغتُصِبت كرامتها وحقها في الحياة.

- **زمن الكتابة:**

يعتبر الزمن الذي كتبت فيه **ميشيل** رواية " الغريبة " فقد كانت في اتصال مباشر مع ميشيل ، بعد خروجها من السجن، فهو زمن الانتفاضة، حيث كانت تستقبلها في المكتب في بيتها " في مكتبي الصغير الذي كنا نجلس فيه متقابلتين براحة واطمئنان، كانت تقعد جلسة سرية غريبة، يقطعها أحيانا أطفالي وهم يطلون في الوقت المناسب لتخفيف التوتر " حيث شكلت " سبعة أشهر من المناقشات بواقع ثلاث { جلسات } أسبوعيا" ، وهي الفترة التي

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 114.

استغرقتها ميشيل في الكتابة أي من بداية كانون الثاني وحتى نهاية تموز 1998 ، وهي تلك الفترة حيث كان الملك الحسن الثاني لايزال حيا، ما جعل مهمة الكتابة صعبة جدا، كانت تستخدم مع مليكة أسلوب الملاطفة لتخرجها من جو القلق والاكتئاب الذي أصاب مليكة حين تروي لها ما عشته في داخل السجن وبعده، استطاعت مليكة أن تروي قصتها في مدة تسعة أشهر من العمل رفقة الصحافية ميشيل فيتوسي، فقد خطت بفضلها خطوات إلى الأمام ولم تلتفت إلى الوراء، فقد قصت عليها ما كانت تعيشه في أيام العز والشقاء، وما كانت تعاني طيلة أربعة وعشرين سنة التي اغتصبت من حياتها، فبفضل روايتها تخطت ذلك الخوف الذي كانت تعيشه وأصبحت إنسانة لها هويتها وكرامتها، بعدما كانت تعيش بلا هوية، حققت نجاحا باهرا " بعد الكتابة كان النجاح، نجاح فرنسي أولاً، وأوروبي، ومن ثم أمريكي"[1]، حيث أصبح نجاحا عالميا، حيث لها الآن مكانتها وشهرتها، ويطلبون القراء منها أخذ توقيعها، فقد تأثروا بقصتها، " بمرور الوقت اعتدت على التوقعات" [2].

- **زمن الولايات المتحدة (ميامي) :**

وهوزمن الشهرة بالنسبة الى مليكة، وفي عام2001 أقيمت حفلة كبيرة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لصدور مجلة TALK ، وكانت هذه السنة زمن لقاء مليكة بأوبرا، حيث سردت لنا مليكة قصتها مع أوبرا وكيف قالت لها أنها سوف تقوم بقراءة كتابها " غدا،

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 130.

[2]– المصدر نفسه، ص 138.

سأقرأ كتابك. وأخذتني بين ذراعها، وبمودة زائدة، كتعاهد بين النساء كررت : أعدك بذلك"[1] ، ولم تكن تلك المرأة سوى أوبرا، وكيف اختارتها من بين الكثير من النساء، وكيف دعتها إلى برنامجها التلفزيون، حيث سيكون عليها الرد على أسئلة لجنة نسائية منتقاة من بين أربعة آلاف مرشحة، فقد باع الناشر الأمريكي ما يقارب 700000 نسخة من روايتها.

وبعد كثير من العمل، وتصوير الأفلام استطاعت مليكة أن تسترجع حقوقها، وتعيش حياة لائقة "بعد ثلاث سنوات ونصف من الكد في العمل، بدا لي أن الأبواب تنفتح أخيرا أمامي"[2] ، واشتهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وتحقق حلمها، الذي كان يراودها عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها، وهو إيصال قصتها إلى العالم بأكمله .

- **زمن المغرب :**

وهو زمن موت الملك، وهوزمن ربما الشعور بالسعادة، أو الحزن بالنسبة الى مليكة، حيث في 23 تموز 1999 سمعت مليكة بموت الملك الذي دمر حياتها هي وأهلها، فكل القنوات التلفزيونية تتحدث عن موت الملك الحسن الثاني، وقد هاتفتها كل الصحف والصحافيين لمعرفة شعورها عند سماع خبر موت الملك الذي دمر حياتها طيلة أربعة وعشرين سنة من عمرها، التي قضتها في السجن رفقة عائلتها، فكانت تقول: " لست سعيدة

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 216.

[2] – المصدر نفسه، ص 165.

ولا حزينة لموت الحسن الثاني"[1] ، فهو رغم موته لا يمكنه أن يسترجع السنوات الضائعة من حياتها، التي قضتها في السجن.

[1]– مليكة أوفقير، الغريبة، ص 223.

خاتمة.

خاتمة:

بعد تعمقنا في أعماق النص الروائي وتشبعنا بأفكار جماليات الفضاء الروائي، استطعنا اكتشاف مختلف جوانبهما، فيما يخص دراسة الفضاء من جهة، وفي دراسة الرواية من جهة أخرى، ولاحظنا أن الفضاء لا يختص في الرواية فقط إنما يشمل كل الأنواع الأدبية مما توصلنا إلى استخلاص أهم النتائج التالية:

- يعتبر الفضاء من المصطلحات النقدية التي يحويها أي نص روائي، فالفضاء هو أحد المكونات الرئيسية في النص السردي، فمن المستحيل تخيل رواية دون فضاء، ذلك لأنه لابد لكل حدث أن يأخذ وجوده في مكان و زمان محدد ، كما هو الحال في رواية " الغريبة ، فقد تطرقنا إلى تعريف مصطلح الفضاء، و دراسة الفضاء الروائي و الإحاطة به انطلاقا من تقسيم الباحثين للفضاء و الذي يتضمن، الفضاء الجغرافي، و الفضاء الدلالي، و الفضاء النصي.
- طغت سمة السجن في النص الروائي " الغريبة" سواءً أكان سجنا حقيقيا كمؤسسة عقابية عاشته عائلة أوفقير، أو سجنًا نفسيا داخليا مازالت مليكة أوفقير إلى حدّ الساعة.
- لقد انفتح الفضاء الجغرافي على شكلين أساسين هما: الفضاء الجغرافي المغلق، الفضاء الجغرافي المفتوح، حيث سيطر الفضاء المغلق على جل الرواية.

- إن الشخصية هي ركن أساسي من أركان الرواية، و العنصر الفاعل الذي يساهم في صنع الحدث، مرتبطة دائما بالفضاء، فحيثما يتواجد الفضاء، تتواجد الشخصية فبينهما علاقة تكاملية، فلا يمكن حضور الشخصية بدون حضور الفضاء المكاني، و هو ما درسناه من خلال الرواية .
- إن الزمان هو المادة المعنوية المجردة التي تتشكل منها الحياة، فهو حيز كل فعل و مجال كل تغير وحركة، و إن علاقة الفضاء بالزمن هي علاقة وطيدة، علاقة ترابطية، فلا زمن بدون فضاء، و العكس صحيح فهما وجهان لعملة واحدة .
- وأخيرا، نحمد الله على توفيقه، ونرجو أن يكون هذا المُنجز البحثي المتواضع لبنة جديدة تُضاف إلى صرح البحوث العلمية الجادّة، ونقطة انطلاق لإنجازات بحثية جديدة تستكمل الإجابة عن الأسئلة الكثيرة المطروحة حول جماليات أدب السجون عامّة، وأسلوبية رواية السجن خاصة.

ملحق.

ملحق:

عالم الرواية:

هي رواية **لمليكة أوفقير** المغربية ابنة الجنرال محمد أوفقير الذي كان قائدًا لأركان الجيش في فترة حكم الملك الحسن الثاني، حيث قام بانقلاب ضد الملك محاولا قتله، إلا أن المحاولة باءت بالفشل فانتهى مصيره إلى الإعدام بخمس رصاصات وزُجَّ بعائلته في السجن.

تروي الكاتبة بداية حياة البذخ والرفاهية التي عاشتها في طفولتها حين كانت صبية ذات خمسة أعوام عندما التحقت بالبلاط الملكي بحكم وظيفة والدها فقد تبناها الملك الحسن الثاني لتعيش في القصر رفقة ابنته " اللا أمينة" وكانت تزور عائلتها من فترة لأخرى، غير أن تلك الحياة لم تدم طويلا حيث توتر الوضع بين الملك والجنرال وتمّ الانقلاب فوجدت مليكة نفسها يتيمة الأب من جهة، ومحاصرة بين جدران السجن من جهة أخرى هي وعائلتها في الصحراء الكبرى في أفضع سجن عرفته البشرية، السجن الذي كان يضم كل الذين قاموا بعملية الانقلاب ضد الملك.

عاشت "مليكة" وهي ذات التسعة عشر عامًا رفقة أمها "فاطمة" وإخوتها مريم، سكينة، ماريا، عبد اللطيف ورؤوف ذي العامين مرارة السجن لما يقارب 15 سنة في زنازين انفرادية، إلا أمها فاطمة فقد كان معها رؤوف في زنزانة واحدة، وعندما أحسوا أن السبيل إلى الحرية

أمر غير وارد، بل هو مستحيل قاموا بشق سبيل حريتهم بأنفسهم وحفروا نفقًا بالملاعق وأغطية علب السردين لمدة 3 أشهر، وفعلًا نجحوا في رؤية نور الحرية وأصبحت قصة هذه العائلة منتشرة في كل أنحاء العالم السيئ الذي منع السلطات المغربية من اتخاذ أي انتقامي ضدهم واكتفت بوضعهم تحت المراقبة ومنحهم سكنًا يأويهم من مراكش، لكن أي حرية هذه؟

قضت العائلة مدة خمس سنوات بلا جوازات سفر بلا عمل، وبعد انقضاء هذه المدة رحلت "مليكة" إلى فرنسا لتبدأ رحلتها في التدرب على الحرية فقد كانت كالطفل الذي يكشف العالم لأول مرة، كانت تنظر بانبهار إلى المتاجر الضخمة وترى البضائع الكثيرة المتنوعة التي ستصير في النهاية إلى سلة القمامات، فعادت بها ذاكرتها إلى ذلك الأمس البعيد، بل إلى تلك السنوات الطويلة التي حرمتها من رغيف الخبز، بقد كانت مليكة وإخوتها يلتقطون أرغفة الخبز المكسوة بطبقة خضراء من العفن، فتقوم هي بإزالة تلك القشرة الخارجية التي لامستها الجرذان والحشرات.

اليوم تقف "مليكة" الحرة عاجزة على فتح صنبور الماء في حمام " لوفلور" الذي تركته منذ زمن بعيد وتركت فيه بصماتها وذكريات جميلة عن أيام الرخاء والاستقرار، مثلما وقفت فاشلة أن تفسر الرقم 164 في مكتب الضمان الاجتماعي الموجود في اللوحة الرقمية، ذلك الرقم الذي ما هو إلّا ترتيب عدد المواطنين حسب القائمة.

لم يفارقها هاجس الخوف من خروجها (منذ قرارها) فقد كانت تخاف من الآخرين حتى في تلك الحادثة التي بقيت راسخة في ذاكرتها حين رأت رجلًا يضرب الكلاب، فمنعها الخوف من إيقافه أو حتى استدعاء الشرطة مخافة التعرض للاستجواب والتحقيق أو حتى الاعتقال مرة أخرى.

لا أحد ينكر فضل "أريك" زوجها في مساعدتها في التأقلم مع الحياة فقد وقف معها منذ وصولها إلى باريس، كان مجرد صديق ثم أصبح زوجا لها إلا أن أثار القمع والسجن بقيت تلاحقها، فقد عجزت " مليكة" من الإنجاب ومنح "أريك" حب حياتها طِفلًا من صلبه، رغم محاولاتهم المتكررة غير أن ذلك لم يأتي بأي نتيجة، فقامت في البداية بتبني " نوال" ابنة أختها الصغرى " مريم" المصابة بالصرع العاجزة عن تربية ابنتها ثم تبني طفلٍ لآخر أسمته بـ "آدم".

سمحت رواية المغربية " **مليكة أوفقير**" التي روتها الكاتبة " **ميشال فيتوسي**" بفتح باب واسع من الشهرة، فقد تنقلت إلى أمريكا عبر برنامج " أوبرا وينفري" المشهور عالميا، وأجريت معها عدة مقابلات صحافية وترجمت روايتها عدة مرات.

وأخيرا مات الملك! كيف ستكون ردة فعل مليكة هل ستفرح لذلك؟ كانت الأعين متجهة نحوها منتظرة أي كلمة منها غير أن مليكة بقيت مصدومة تجر الخيبة، مات ذلك الملك

الظالم الذي سرق منها عشرين عامًا رفقة أمها وإخوتها، راحلًا في صمت دون أي اعتذار...

أي ذنب ارتكبته؟

أي ذنب اقترفه عبد اللطيف الصبي؟.

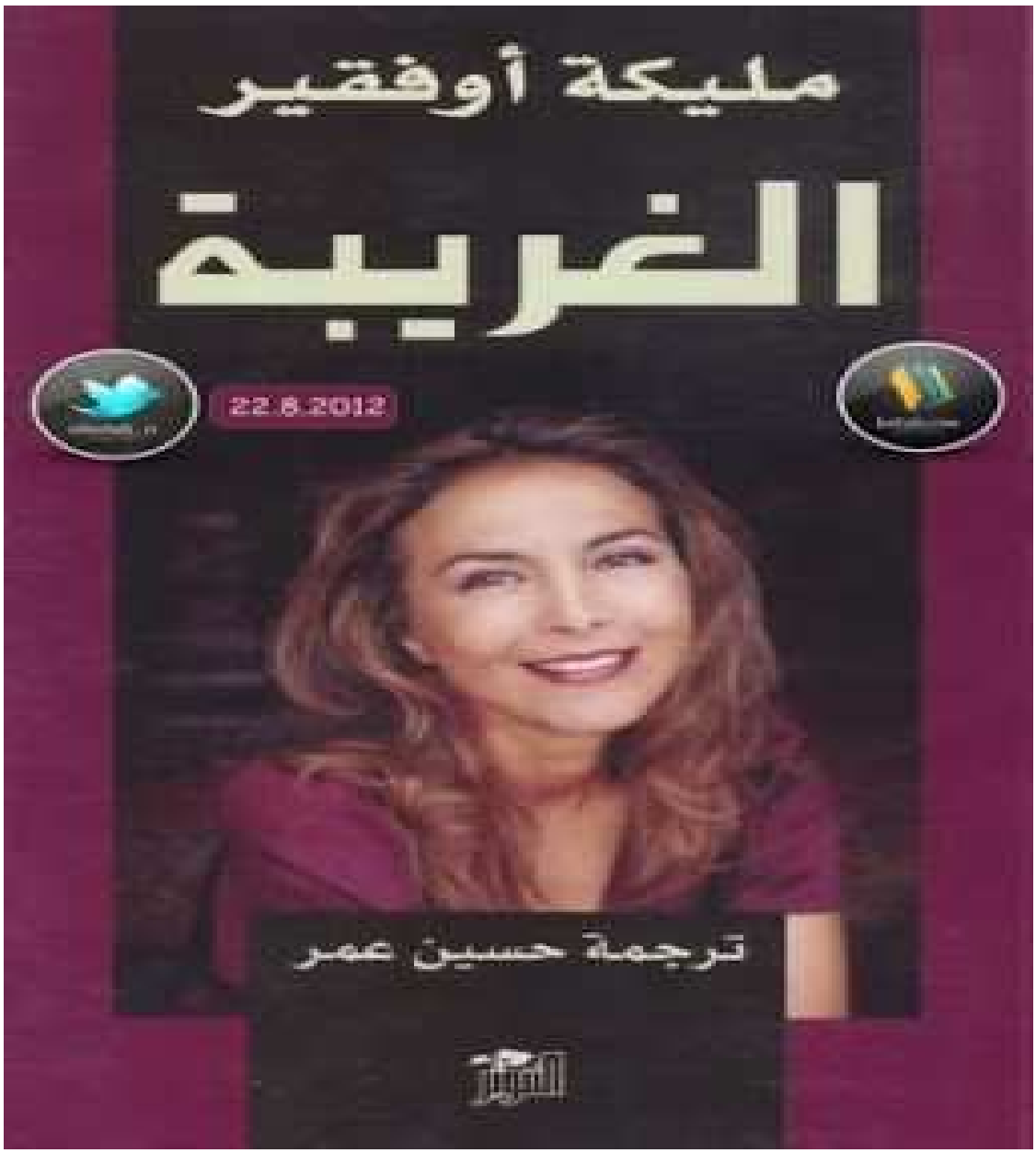

صورة رقم 01

. قائمة المصادر والمراجع.

قائمة المصادر و المراجع :

المصادر:

1. مليكة أوفقير، الغريبة، دار التنوير و النشر و التوزيع، بيروت ـ لبنان،(د ط)،2006.

المعاجم :

1. ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2005.

2. جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003.

3. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،2010.

4. لطيف زيتوني، معجم المصطلحات (نقد الرواية) منشورات دار النهار للنشر، بيروت، ط9، 2000.

5. محمد الحسن الزبيدي ، تاج العروس، من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، ط1، 2007.

6. معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية العامة المجتمعات و إحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر، ط1،2004.

المراجع:

1. أحمد حفيظة، بين الخطاب الروائي في الرواية الفلسطينية، مركز الثقافي فلسطين، ط1،2000.

2. أحمد مرشد، البنية و الدلالة في روايات ابراهيم نصر الله، دار فارس، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

3. أوريدة عبود، المكان في الرواية القصيرة الجزائرية الثورية، (دراسة لنفوس ثائرة)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو ـ الجزائر، د ط، 2009.

4. جيرار جنيت، نظرية السرد (من وجهة النظر و التبئير)، تر : ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي، ط1، 1989.

5. جيرالد برنس، المصطلح السردي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003.

6. حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1،1990.

7. حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، ط1، 2000.

8. حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت الحمراء شارع جان، الدار البيضاء، 42 شارع الملكي الأحباس، ط2، 1993.

9. سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث و المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003.

10. سيزا أحمد قاسم، بنا ء الرواية (دراسة مقارنة ثلاثية نجيم محفوظ) ، دار التنوير بيروت، لبنان، ط1،1985.

11. شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، عمان، الأردن، ط 1،1994.

12. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، الأردن، ط2، 2009.

13. عبد الحق بالعاد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

14. عبد الكريم الجبوري، الإبداع في الكتابة و الرواية، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ط1، 2003.

15. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1919.

16. لوسيان قولدمان، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، دار الحوار للنشر اللاتينية، بيروت،1992.

17. محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، النادي الأدبي بالرياض، المركز الثقافي، ط1، 2008.

18. محمد بوعزة ، تحليل النص السردي (تقنيات و مفاهيم ، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم و النشر، الرباط ، الجزائر، بيروت، ط1،2010.

19. محمد حطيب، الرواية و الواقع، دار الحديث، بيروت، ط1، 1987.

20. مراد عبد الرحمان مبروك، جيوبوليتيكا النص الأدبي، تضاريس الفضاء الروائي، دار الوفاء، مصر، ط 1، 2002.

21. ممدوح عدوان، حيونة الإنسان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط6 ،2016.

22. يوسف بن حسن حجازي، عناصر الرواية، (د ط)، 2010.

المراجع بالفرنسية :

Julia Kristeva , le texte du roman , Approche sémiotique structure . discursive transformationnel , mouton , 1976

المجالات :

1. جابر عصفور، ريادات مهمشة، مجلة فصول، القاهرة، مج16، ع4، 1998.

2. جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع11 ، جوان2000.

3. نصيرة زوزو، إشكالية الفضاء و المكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، قسم الأدب كلية الآداب و اللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، العدد 6، (د ط)، جانفي 2010.

المواقع الإلكترونية:

1. صادق خشاب، البنية الزمنية في رواية قبل البدء حتى للروائي محمد بورحلة، مقالات الدولي عبد الحميد بن هدوقة للرواية الـ15، http://www.benhedouga.com/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D8D9%8.

2. محمد رمصيص ، أدب السجون المغربي ، أنطولوجيا السرد العربي ، شرقي الاتجاه الاشتراكي ، يوم 2015/11/27 http://alantologia.com/blogs/12331/.

فهرس المحتويات.

فهرس المحتويات

المحتوى.....الصفحة

شكر وإهداء

مقدمة.....(أ ـ د)

مدخل:.....(06-19)

1. تعريف الفضاء لغة واصطلاحا.....06-07

2. بين الفضاء والمكان.....09

3. أنواع الفضاء:.....11

- ✓ **الفضاء الجغرافي (كمعادل للمكان).....11**
- ✓ **الفضاء كمنظور أو كرؤية.....14**
- ✓ **الفضاء الدلالي.....14**
- ✓ **الفضاء النصي.....15**

4. أدب السجون أدب المعاناة.....17

الفصل الأول: تجليات الفضاء الروائي في رواية " الغريبة".....(21-41)

1. أنواع الفضاء الروائي:.....21

- ✓ **الفضاء النصي.....21**
- ✓ **الفضاء الجغرافي.....24**
- ✓ **الفضاء الدلالي.....39**

الفصل الثاني: علاقة التقنيات السردية بالفضاء.....(43 -66)

1. تعريف الشخصية.....43

2. علاقة الشخصيات بالفضاء.....44

3. أبعاد الشخصية.....50
4. علاقة الزمن بالفضاء.....54
خاتمة.....68
ملحق.....71
قائمة المصادر والمراجع.....76
فهرس المحتويات.....82

ملخص المذكرة:

وكحوصلة لموضوعنا ارتأينا أن نوجز بحثنا في جملة بسيطة وهي :

- ✓ إنّ موضوع الفضاء يعتبر من أهم العناصر السردية التي يحويها أي نص روائي كما هو الحال في رواية " الغريبة ".
- ✓ لقد وقع خلط بين مفهومي الفضاء والمكان، و ذلك بسبب الأخطاء التي وقع فيها بعض المترجمين، كالترجمة الخاطئة لبعض الكتب الأصلية الغربية.
- ✓ يعد الزمان و المكان من أهم مكونات العمل الروائي، حيث نجد الزمن يكتسب قيمة الجمالية عندما يدخل حيز التطبيق، أما المكان فهو الإطار العام للأحداث ففيه تتجمع حوارات الرواية.
- ✓ تعتبر الشخصية وظيفة سردية ومحرك لأحداث وصانعة للحبكة وخالقة للجو الدرامي داخل فضاء الرواية.

الكلمات المفتاحية:

الفضاء، المكان، الشخصيات، الزمان.